

صراع من أجل البقاء

أ/ جلال عبد الفتاح
إشراف
أ/ حمدي مصطفى

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

مقدمة المحرر

يقدم هذا الكتاب ـ ضمن مجموعة مثيرة من الكتب ـ وقائع حقيقية ، وأحداثًا صادقة حدثت بالفعل من واقع الحياة . هى دراما من مجرى الحياة تشكل مأزقًا واقعيًا يندر حدوثه ، أو تجربة إنسانية حية تضاف إلى تصرفات الأقدار المتراكمة ، أو أفكارًا وآراء ومعتقدات جديدة نتجت عن خبرات شخصية ، أو اكتشافات مثيرة ، أو تطورات حديثة . أو حتى حادثًا غريبًا ليس له أى تفسير علمى على الإطلاق .

هى إذن ملح الحياة ، وثمرة التجارب ، وحصيلة العمر . وتكشف بتلقائية شديدة عن معدن الإنسان وأصالته ، وتظهر الصفات النبيلة فى شخصيته . وتبلور الحكمة الكامنة فى مجابهة المصاعب والشدائد ، وتلقى الضوء على القوة الكامنة الهائلة داخل كل إنسان . والتى يستمدها من قوة الإيمان ، واحترام الذات ، والوعى الكامل بالوجود ، ودوره فى الحياة ، ومدى تمسكه بالمثل والقيم والفطرة السليمة . حتى يصبح إنسانًا عظيمًا بحق ، فليس هناك طريق مختصر غير ذلك .

والهدف منها ـ بجانب التسلية والمعرفة ومتعة القراءة ـ فتح آفاق جديدة إلى عالم واقعى زاخر بالأحداث ، ويموج بالحركة ، ويتفاعل بالتغير . أيضًا الاطلاع على تجارب الآخرين وأفكارهم فيما يعرض عليهم ، وأساليبهم فى مواجهة محن الحياة . وتحريك روح المغامرة والاستكشاف والتساؤل والبحث عن المجهول . وتلمس النبع الصافى من الخيال المبدع الذى يتميز به الإنسان دون كل المخلوقات ، واستدعاء كل المعانى الجميلة من

التضحية والفروسية والنبالة والسمو ، وإعلاء القيم الأصيلة التى تمثل جوهر الإنسان ، وسبب وجوده على الأرض . وكيف يمكن للمرء أن يتصرف إذا ما صادفه موقف مشابه أو حتى أن يقيِّم سلوكيات الآخرين وأقوالهم بمعيار الإنصاف والشرف والجلال ، فضلاً عن الكثير من المعلومات العلمية أو النادرة أو الغريبة التى يتضمنها نسيج كل حدث أو موضوع ، بلا إقحام .

كما تشير على المرء ألا يلتصق كثيرًا بالماديات على حساب المعنويات ، فما لهذا خلق الإنسان . أيضًا ترشده إلى استكشاف القواعد أو القوانين التى تحرك الحياة وتضبطها فى كل مجال ، لضرورة المواءمة والتكيُّف والتغيير .

بمعنى آخر ، إدخال المنهج العلمى فى مسار حياتنا وأسلوب تفكيرنا وتناولنا للأمور ، فالحياة ليست فوضى . والقاعدة الأساسية أن كل شخص لابد أن يُجابه طوال حياته ، الكثير من الابتلاءات والاختبارات - شرها وخيرها - حتى يظهر أصالة معدنه وحقيقة ما بداخله .

كما أن عليه ألا يعتمد كثيرًا على حواسه فقط ، ففى هذا العالم من الأحداث والمشكلات ما لا يمكن التوصل إليها إلا بإحكام العقل ، أو حتى بالحدس أو بعد النظر أو نفاذ البصيرة .

جلال عبد الفتاح

عندما انقضّ الدبّ على المخيم !

بقلم : [هنرى هارت]

كان ليل (آلاسكا) باردًا وموحشًا ، بينما خمدت النيران فى المخيم . وفجأةً فتحت (جيسى تومبسون Jessie Thompson) عينيها ، وقد دهمها شعور مبهم بأن هناك شيئًا غريبًا ، وأنه قريب جدًّا . وحينما ألفت عيناها الرؤية فى الظلام ، شعرت على الفور بخوف شديد ؛ فعلى بعد أقل من متر واحد من وجهها كان هناك شبح واضح تمامًا فى ضوء القمر الخافت ، وكانت الخطوط القاتمة ترسم رأس دب ضخم . لقد كان فى إمكانها أن تراه بوضوح عبر جدران الخيمة المصنوعة من البلاستيك الشفاف .

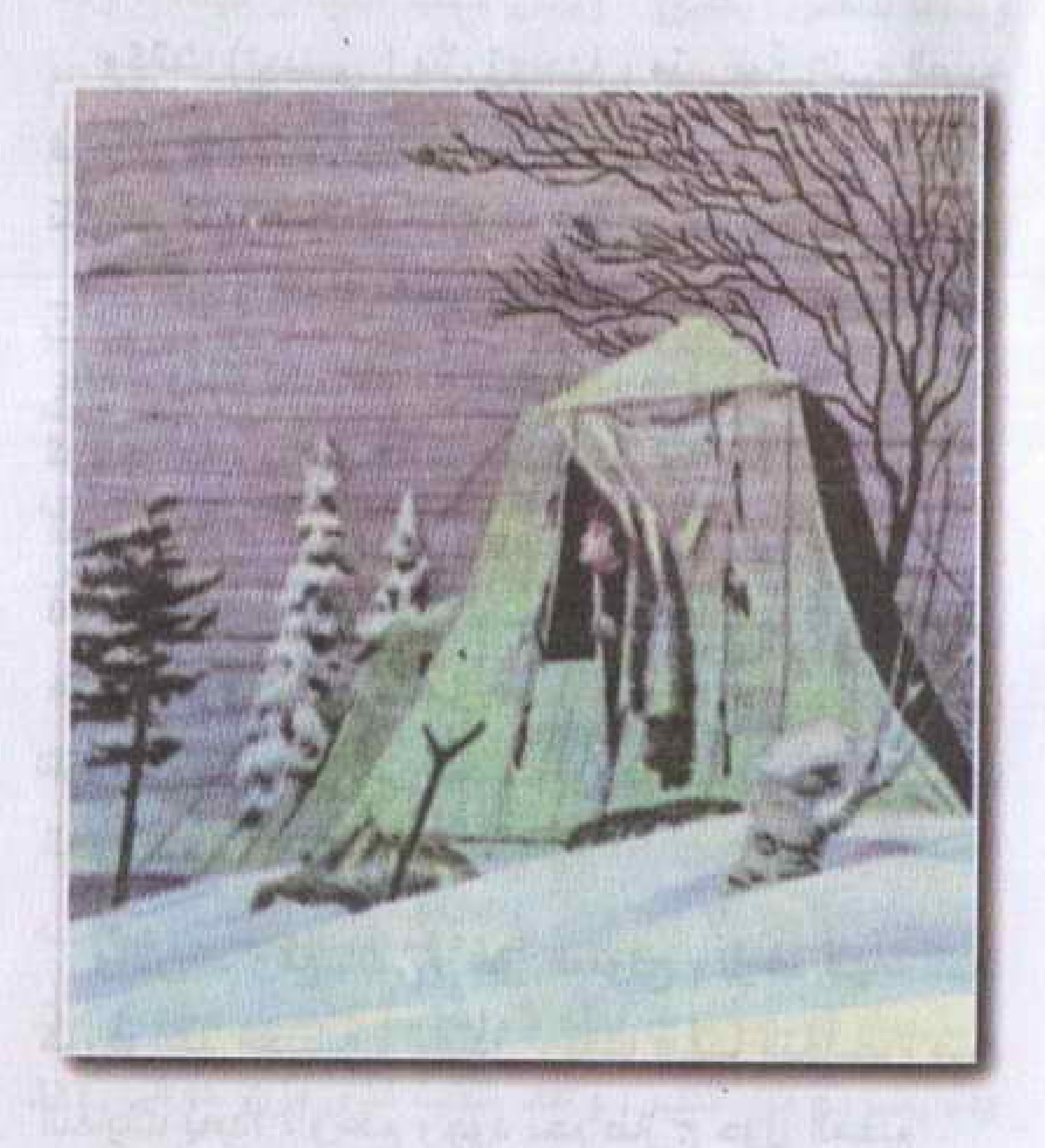
فى تلك اللحظة استيقظ زوجها (آلان تومبسون Allan Thompson) ، وللوهلة الأولى لم يستطع رؤية الدب ، ولكن بغريزته أحس باقتراب الخطر .

أدار عينيه دون أن يحرك رأسه ، وكانت البندقية بجانبه ،

فمد يده ببطء ليلتقطها . وبإشارة هادئة ، أشار إلى زوجته أن تلزم الصمت ، فتجمدت فى مكانها ، بينما ثبتت عينيها على رأس الدب .

كان الزوجان على بعد 15 ميلاً ـ حوالى 24 كيلومترًا ـ لأقرب طريق ، داخل الغابة الوطنية لمراعى الأيائل فى شبه جزيرة (كيناى Kenai) بولاية آلاسكا الأمريكية Alaska ، فى أقصى شمال القارة الأمريكية . وهى منطقة وعرة للغاية ، ويصعب حتّى على السيارات المجهزة اختراقها .

وكمراقب من قوة حرس الغابات ، ومعين فى هذه المنطقة ، فإن (آلان) قضى جانبًا كبيرًا من شبابه ، مجوّلا بين الأحراش والتلال والغابات للتفتيش على رخص الصيد القانونية ومواعيدها المحددة وعدم تجاوز المسموح بصيده ، وكذلك اعتراض المخالفين لقوانين حماية البيئة البرية والمحافظة عليها . وكان (آلان) مشهورًا بصرامته فى تطبيق القوانين ، وفرض احترام النظام على المخالفين .



أقام (آلان) وزوجته (جيسى) مخيمهما فوق ربوة وسط الغابة

وكانت (جيسى) مثل زوجها ، متمرسة على الصيد وحياة المخيمات فى الغابات والبرارى . وخلال رحلتهما تلك فى شهر سبتمبر ، عزما على صيد الأيائل Moose ـ وهى ظباء الشمال القطبى الكبيرة الحجم وأكبرها الإيلك Elk ـ وذلك بالسهام . ولذلك أخذا معهما قوسًا يزن 29 كيلوجرامًا ، بالإضافة إلى مسدس عيار 44 من مائة من البوصة طراز ماجنوم Magnum ، وبندقية قوية عيار 30 من مائة من البوصة سعة ست طلقات . ولم يكن هناك ضرورة لاستعمال مثل هذه الأسلحة ، ولكن الزوجين قررا أن من الحكمة الاحتفاظ بها فى حالات الطوارئ .

والآن قد وقع الشىء غير المتوقع ، برغم أنهما اتبعا كل قواعد الحيطة والحذر ، بما فيها التخلص من النفايات بعيدًا ، وعدم وجود لحم طازج حول المخيم .

اقترب وجه الدب كثيرًا خارج بلاستيك الخيمة ، حتى كاد أنفه أن يلامس أنف (جيسى) . وفى النهاية بدأ الدب يتحرك بعيدًا ، وشعرت (جيسى) براحة عميقة ،

وبدأت تتنفس بعمق . ولكن الدب استدار فجأة ، وقد تفجر بالغضب الشديد ، ثم انقضَ بسرعة مذهلة ليهاجم الخيمة ، حيث شب على قدميه ثم ألقى بجسده الضخم بين (جيسى) و (آلان) .

كان اهتمام الدب منصبًا على (جيسى) ، التى بدأت فى الزحف والصراع بكل قواها ، برغم أنها ما زالت مقيدة فى كيس النوم . وأخذت تصرخ وتلوح بيديها فى وجه الدب ، بينما يدا الدب الضخمتين تضربانها من الرأس وحتى القدمين .

تصاعد هياج الدب وازدادت زمجرته ،حتى إنه غطى على صرخات (جيسى) ، حينما كانت تكافح لحماية نفسها .

حاول (آلان) أن يكون فى وضع مناسب يسمح له باستخدام البندقية دون إيذاء (جيسى) ، ولكنها سقطت من يده بضربة من الدب ، وعاد الدب الذى يزن حوالى 311 كيلوجرامًا ، ووقف بكامل قامته التى تجاوزت المترين ، وأخذ يمزق الخيمة بمخالبه المخيفة . ثم تعثر فى محتويات الخيمة وانقلب فوق (جيسى) بكل ثقله ،



استدار الدب البنى فجأة ، وقد تفجر بالغضب وانقض ليهاجم الخيمة

وقد بدأت تصرخ فى عصبية شديدة ، فأخذ الدب يمزق كيس النوم بأنيابه ومخالبه .

وعندما تأكدت (جيسى) أن الموت أصبح قريبًا منها ، أدخلت نفسها لمسافة أعمق داخل كيس النوم ، فى محاولة منها لحماية رأسها .

كان (آلان) فى مكانه يمكنه أن يرى رأس الدب الضخم وأنيابه الحادة ، وهى تنهش كيس النوم الذى تختبئ فيه (جيسى) . كان (آلان) قوى الجسم ، فأمسك برقبة الدب ، وراح يضرب رأسه بقبضته ، محاولاً إبعاده عن زوجته .

استدار الدب ، وأطبق عليه بمخالب يده اليسرى وهو يهزه بعنف ، ثم قذف به فى ركن داخل الخيمة . واندفع الدب نحوه يمزق جنبه وصدره بمخالبه الحادة ، حتى انشق اللحم عن الضلوع . وظل (آلان) يجاهد بيأس ، بينما الدب يمزق ظهره بمخالبه ، ثم جرفه إلى أعلى وألصقه بصدره .

بلغ الغضب والهياج قمتـه بـالدب ، الذى أخذ ينهش رأس (آلان) بأسنانه ، حتى انغرست بشدة تحت فروة الرأس . انطلق الدب الهائج خارج الخيمة ، وهـو يحمل (آلان) الذى يزن 80 كيلوجرامًا .

وفى البداية سار الوحش على قائمتيه الخلفيتين وهو يضم (آلان) إلـى صدره ، ثـم مشـى علـى قوائم ثلاث وهو يحمله بإحدى قائمتيه الأماميتين ، وأسنانه تنهش فروة رأسه .

على مسافة سبعة أمتار ونصـف المتر من الخيمـة ، توقف الدب وبدأ يهز جسد (آلان) كأنه منفضة غبار . فانسلخ جانب من فروة رأسه عن جمجمته ، ثم ألقى بـه الدب على رابية مغطاة بالأعشاب والطحالب .

كان (آلان) ما زال محتفظًا بوعيه ، فأدرك أن فرصتـه الوحيدة فى النجاة ، أن يتصنـع المـوت . فـأخذ يتدحرج على الأرض ثم استقر على معدته ، ودفن رأسه الجريـح فـى الأرض . وعلـى الفور أخذ الـدب يتشممه بأنفـاس ثقيلـة ، وهـو يحـاول أن يقلبـه ، ولكـن (آلان) تشـبث بالعشب بيده السليمة .



انطلق الدب خارج الخيمة ، وهو يحمل (آلان)

أخذ الدب يلطمه ويلكزه وينبشه بمخالبه ، ولكن بصورة أقل حدة وقد خف هياجه . وعندما بدا له أخيرًا أنه ليس هناك أثر للحياة ، مشى متثاقلاً وتباعد ببطء .

لم تستغرق هذه الأحداث سوى دقائق قليلة ، ثم خيم السكون بعدها مرة أخرى على الأحراش البرية .

كانت الحياة تتسرب من جسد (آلان) من أكثر من دستة جروح قاتلة ، وتدفقت الدماء الساخنة من رأسه لتغطى عينيه ، وقد سحقت ذراعه اليسرى ، وبدت الأوتار البيضاء للعضلات عارية فى ضوء القمر . كانت ضلوعه مكشوفة من خلال الأنسجة الممزقة فى جانبه الأيمن .

غير أن هناك هدفًا وحيدًا ظهر من خلال موجات الألم الطاغى ، فإن أراد أن يحيا ، فمن الأفضل له أن يفعل شيئًا ما . رفع نفسه على ركبتيه ثم نهض واقفًا ، كانت ساقاه سليمتين ، ولم تصابا بسوء ، وتهادى عائدًا إلى المخيم ، وهو يتساءل عما إذا كانت زوجته ما زالت على قيد الحياة .

كانت (جيسى) مستلقية فى حالة ذهول ، وسط الحطام الذى كان منذ لحظات مخيمًا لهم . لم تكن إصابتها بالغة ، ولكن مجرد رضوض جسدية وخدشًا واحدًا من مخلب الدب فى جانب رأسها .

بعد فترة أخرجت نفسها من كيس النوم ، والتقطت المسدس ، وزحفت فى العراء أمام المخيم ورأت فى ضوء القمر شبحًا واقفًا ممزق الملابس والدماء تنزف منه . وهرعت (جيسى) نحو زوجها ، فتهادى بين ذراعيها وهو يقول « .. لقد انقض علىّ بضربات قاصمة ، ولكنى سأنجو منها ! »

جذبت (جيسى) كيس النوم من وسط الحطام ، واستلقى (آلان) فوقه مكدودًا للغاية . وأخذت (جيسى) فى عمل ضمادات من أكياس القماش ، وتثبيتها فى مكانها بقطع من الحبال . ثم أوقدت نارًا فى العراء لتدفئتهما فى ذلك الجو الذى يقترب من درجة التجمد . وأعدت بعض الشاى الساخن ، وساعدت (آلان) على تناوله ، مع أقراص الأسبرين لتساعده على احتمال الألم . وحرصت

(جيسى) على الاحتفاظ بالبندقية بجانبها ، فالحيوان الهائج قد يعود مرة أخرى .

استقرت حالة (آلان) دون المزيد من التدهور ، فى أثناء استلقائه بجانب النيران . وكان يفكر فى القرار الذى يجب عليه اتخاذه ، فهل يمكنه السير لمسافة 24 كيلومترًا حتى الطريق العام ؟ أم من الأفضل أن يبقى فى مكان المخيم ، بينما تذهب (جيسى) وحدها لاستدعاء طائرة إنقاذ هليكوبتر ؟ وماذا إذا عاد الدب ، فهل يمكنه الدفاع عن نفسه ؟ وحتى إذا تركت له البندقية ، فما الذى يمكن أن تفعله للتصدى للدب إن فاجأها فى الطريق ؟ خاصة وأن المسدس لا يمكن الاعتماد عليه فى مواجهة ذلك المخلوق البرى . كان أمام الزوجين ثلاث ساعات فى تأمل هذه الأسئلة ، حيث إنهما لا يستطيعان القيام بأى شىء ، قبل ظهور ضوء الشمس .

لقد تعود (آلان) ـ فى أدائه لعمله ـ التجوال لمسافات طويلة بأحذية الجليد متزحلقًا طوال اليوم ، لتعقب صائدى

الأيائل بدون تصريح ، أو صيادى أسماك السلمون المخالفين . أما الآن فهو يدرك خطورة إصابته ، وبدأ يحس بالضعف يسرى فى جسده ، لما فقده من الدماء النازفة . كما أن عضلات رقبته قد انهارت بسبب جروحه العميقة ، فمال رأسه المضمد ليستقر على كتفه الأيسر . ولكن ساقيه كانتا فى حالة جيدة . وأخيرًا استقر رأيه على قرار واحد ، لابد أن يغادر المكان قبل أن يعود الدب البنى مرة أخرى ، وأن يصطحب زوجته إلى الطريق السريع .

بعد بزوغ ضوء النهار بقليل ، ترك (آلان) رسالة على ظهر خريطة : « هاجمنا دب ، إننى مصاب وأحتاج إلى هليكوبتر . نحن على الطريق . غادرنا المكان السابعة صباحًا . نطلب الإسعاف ! » . ووقع الرسالة باسمه ، ثم تركها فوق حطام المخيم ، وانطلق الزوجان فى طريقهما .

كان (آلان) يسير بثبات دون معونة زوجته ، وكان

من بين المزايا القليلة المتاحة لهما أن المخيم كان على ارتفاع 300 متر ، ومن ثم كانت الأرض تنحدر باتجاه الطريق ، وعلى امتداد المسافة التى ينبغى قطعها . ولكن (آلان) بدأ يشعر بالقلق من جراء الضعف الذى بدأ ينتاب ساقيه . فإذا عجزت رجلاه عن حمله ، فليس لديه خيار سوى الانتظار وحيدًا فى ظل خطر رهيب بعودة الدب مرة أخرى ، حتى تعود (جيسى) بالنجدة . وألقت هذه الأفكار بكاهلها عليه ، فشدت من عزمه وواصل السير ورأسه لا يزال مائلاً على كتفه ، والمسدس فى قبضته ، وهو يشق طريقه عبر أراض يندر أن يمر بها إنسان .

وكانت (جيسى) تحمل البندقية ، وترتجف من الهلع كلما سمعت صوتًا غريبًا فى الغابة . وكانت تعرف أنه إذا عاد الدب لمهاجمتهما مرة أخرى ، فإن عليها أن تصارع وحدها .. وظلت طوال الطريق تمد زوجها بقطع من السكر وعصير البرتقال لتزويده بالطاقة ، وواصلا السير دون تبادل الحديث ، خوفًا من إضاعة

الجهد ، واحتفاظًا بما تبقى لهما من حيوية . واستجمع (آلان) كل عزيمته لقطع الكيلو مترين الأخيرين والألم يكاد يعصره ، وقد تهاوى إلى الأرض أكثر من مرة .

وعندما بلغ الطريق ، بعد مسيرة ست ساعات ونصف الساعة ، سمع صوت سيارة تقترب فأشار إليها بالوقوف قبل أن تلحق به (جيسى) ، وأرسل السائق لطلب سيارة إسعاف . لقد قضى (آلان تومبسون) حياته فى الأعمال الشاقة بعزم لا يلين ، وأصبح لديه القدرة على اختزان قوة الاحتمال والثبات ، التى شدت أزره طوال تلك الساعات العشر الماضية . أما الآن فقد استنفد رصيده من هذه الطاقة ، وتهاوى على الأرض وقد تلاشت قواه .

فحص الدكتور (جوزيف سانجستر Josph Sangster) حالة (آلان) فى المراحل الأولى من الصدمة ، ووجد أنها تسوء بسرعة . فاستبد به القلق ، خاصة بشأن الجرح

المفتوح ، حينما انتزع الدب بأسنانه نصف فروة رأس الرجل تقريبًا . ويقول الدكتور (سانجستر) : « كان هناك احتمال ضئيل أن نتمكن من رتق فروة الرأس ، ولذلك قررت أنه من الأفضل بذل الجهود للبحث عن الجزء المفقود . فحتى لو نجحت عمليات الترقيع ، فإن فروة الرأس الأصلية ، هى أفضل نسيج لتغطية الجرح المفتوح » .

سارعت إدارة حرس الغابات فى ولاية (آلاسكا) ، بإرسال طائرة هليكوبتر لنقل (جيسى) لنفس مكان المخيم للبحث عن فروة الرأس المفقودة ، وبرفقتها تسعة جنود مسلحين . وقد دلت الشواهد على أن الدب البنى قد عاد بالفعل مرة أخرى إلى المخيم ، بما تركه من آثار مخالبه على الأرض ، وأنيابه على العلب المعدنية ، واقتنعت (جيسى) بأن قرار ترك المعسكر ، والسير حتى الطريق كان قرارًا صائبًا .

أخيرًا عثر الجنود على فروة رأس (آلان) ، وعادت

بهم الهليكوبتر إلى مستشفى سولدوتنا Soldotna ، وتمكن الأطباء من علاج الإصابات المتعددة لـ (آلان) على مدى الأشهر التالية وتماثل للشفاء .



صورة جوية لمخيم كورا فى شرق كينيا

بتصرف عن المصدر :

Condensed from : International Wildlife Magazine, May-June 1979 . An Article Titled « He Got me Bad .. But I will make it ! » . By Henry Hurt. Published by The National Wildlife Federation, Vienna, Verginia, U.S.A.



موقع مخيم كورا فى كينيا ، للمحافظة على الأسود

بين فكّى أسد ضخم !

بقلم : [أرنولد شابيرو]

حينما عاد (تونى فيتزجون Tony Fitzjohn) إلى مخيم كورا ، بعد رحلة شاقة استغرقت يومين للتزود بالمواد التموينية والمهمات ، اندفع (فريدى Freddie) - وهو شبل أسد يبلغ من العمر ثمانية عشر شهرًا - من خلف مجموعة من الشجيرات الكثيفة للترحيب بمقدم صديقه . حيث وضع مخالبه الأمامية المغطاة بالوبر على كتفى (فيتزجون) ، وهو يمسح برأسه فى صدر صديقه تعبيرًا عن الابتهاج والفرح .

وكان ذلك يوم الخميس 12 يونيو 1975

ومخيم (كورا Kora camp) المنعزل يقع على نهر (تانا Tana) فى شمال شرق العاصمة الكينية نيروبى بشرق إفريقيا . ويضم مجموعة متزاحمة من الخيام والأكواخ الإفريقية ذات الأسقف المثلثة ، المحمية بسياج عال من

السلك الصلب . ويديـره الدكتـور (جـورج آدامسـون George Adamson) ، عـالم التـاريخ الطبيعى البريطـانى الجنسية ، والذى يبلغ السبعين من عمره .

والهدف من إقامة هذا المخيم هو إعادة الاعتبار للأسود ، ضمن مشروع دولى فريد للمحافظة عليها . فـالْجِراءُ الصغيرة التى فقدت أبويها ، وأشبال الأسـود الشابة فى حدائق الحيوان ـ وهى الأسود التى قضى عليها أن تقبع فى الأسر ـ يتاح لها فى هذا المشروع أن تنمو وتشب وتحيا حياتها بعد ذلك فى بيئتها الطبيعيـة وفى حريـة تامة . حيث خصصت الحكومـة الكينيـة محميـات فـى منـاطق معينـة ، كحدائق وطنيـة ممنـوع فيهـا الصيـد ، للمحافظة على الحيوانات وتوازن البيئة .

وتعد ظروف الحياة فى المخيم خشنة تمامًا ، بـل وعنيفة للغايـة . فمـن الحـرارة العاليـة ، ولسـعات ذبـاب الـ (تسى تسى Tse-Tse) . إلى عدم وجود كهربـاء أو أنابيب مياه ، ثم القيادة لساعات سـت متصلـة فـى أرض وعرة وسهول مترامية لأقرب مستوطنة . ولكن (فيتزجـون)

ـ البريطانى الجنسية والذى يبلغ من العمر إحدى وثلاثين سنة ـ كان قد قرأ فى فترة الدراسة مجموعة كتب « وُلد حرًا » عن الحيوانات البرية وتأثر بها كثيرًا . خاصة قصـة الدكتـور (جـورج آدامسون) وزوجتـه (جـوى Joy) ، حينما قاما برعاية وتنشئة لبؤة صغيرة ، أطلقا عليها اسم (إيلسا Elsa) .وقد أصبح حلم (تونى) حقيقة بالفعل ، حينما أتاحت له الظروف العمل فى إفريقيا ، ومع الدكتـور (آدامسون) بالذات طوال السنوات الثلاث الماضية .

وكان من مهام (تونى) المنتظمة القيام برحلة شـهرية بسيارة الـ (لاند روفر Land Rover) ، عبر الأحراش والوهاد الشاسعة لشراء المـواد التموينيـة والمعدات والمهمـات المطلوبة مـن قرية (جاريسا Garrissa) ـ وهى موقع صغير متقدم على حافة الغابات والأحراش البرية ـ وقبل عودتـه هـذا الصبـاح ، توقـف لمقابلـة مراقـب منطقـة المحميات ليشكره على جهوده فى مطاردة عصابة مسلحة من منتهكى قوانين الصيد ، والذين قـاموا بوضـع فخـاخ من السموم لوحيد القرن داخل المحمية Rhinos .

وســأل المراقب بدوره عن (فريدى) ، وهـو الجرو

اليتيم الذى وجده فى دغل كثيف منذ حوالى 17 شهرًا ، وسلمه إلى (تونى) لرعايته . وقال له (تونى) : « لقد كان أول جرو أعرفه فى حياتى . لقد كان واهنًا عاجزًا كثير الوبر ، وأخذته معى إلى محمية كورا ، حيث أطلقت عليه اسم (فريدى) .

منذ ذلك الوقت انضم ثلاثة جراء إلى المحمية من حدائق الحيوان فى العالم لرعايتها . ولكن ظل (فريدى) دائمًا له مكانة خاصة عند (تونى) . فلم يكن فقط يتحلى بالفطرة الطيبة الودود ، ولكنه كان أشجع الأشبال ومقاتلاً بسجيته . ولديه ميل شديد للانطلاق بكل جسارة وجرأة مع سائر أسود الغابة المكتملة النمو ، والتى تحوم حول السور . ولقد تعود (تونى) أن يأخذه معه عندما كان صغيرًا فى فراشه ، إلى أن نما (فريدى) وكبر على ذلك ، وتقول (ليندساى بيل Lindsay Bell) ـ خطيبته التى تعمل فى العاصمة (نيروبى Nairobi) ـ إنه أبدًا لا يشعر بالاسترخاء الكامل إلا عندما يكون مع الأسود .

بعد يومين من القيادة الشاقة ، كان (تونى) مرهقًا للغاية ، وشعر بالسعادة عند عودته لمخيم كورا . كان يرتدى شورتًا قصيرًا من القطن ، وينتعل صندلاً من الجلد . وكانت بشرته التى لفحتها الشمس وسفعتها باللون الأسمر والأحمر ، تتألق برشح العرق الغزير فى درجة الحرارة العالية التى وصلت إلى 96 درجة فهرنهايت ـ حوالى 35.5 درجة سيلشوس ـ عند الغروب ، حان الوقت لجمع الأشبال ، وقد انضم الأشبال الثلاثة الأخرى إلى (فريدى) الآن فى الترحيب بـ (تونى) ، حيث اصطحبهم إلى داخل السياج لقضاء الليل .

ولكن (فريدى) لم يكن ليفارقه ، فاصطحبه (تونى) فى جولة قصيرة خارج السياج . ولكى ينقل مشاعر الامتنان والوداعة لمرح وجذل (فريدى) ، جلس (تونى) على الأرض وشبك يديه حول ركبتيه ، وأخذ يتحدث بصوت منخفض هادئ إلى صديقه الشبل (فريدى) .

كان ظهره لمجموعة من الشجيرات القصيرة والحشائش البرية على بعد أمتار قليلة منه . ومن أهم قواعد السلامة فى الأدغال والحشائش الكثيفة ، ألا تجلس أبدًا على

الأرض وظهرك مكشوف ، وذلك بسبب احتمال التعرض غير المتوقع لانقضاض الحيوانات البرية . ولكن (تونى) كان يشعر بالأمان ، وهو على مسافة قصيرة من الخيام . كان ذلك فى الساعة الخامسة وعشر دقائق بعد العصر ، والجو هادئ والمخيم لا يبعد أكثر من 50 مترًا .

ثم فجأة وبدون إنذار أو مقدمات ، شعر (تونى) بأن وحشًا هائلاً أطبق عليه من الخلف . ارتطم إلى الأمام بالأرض ، ولوهلة فقد وعيه ، وعندما استعاده بسرعة أدرك فى رعب أن جمجمته قد احتجزت بين فكى أسد ضخم .

ضغط الأسد المهاجم بشدة على رأس (تونى) ثم أطلقها ، وأخذ فى عمليات متعاقبة من النهش والتمزيق الحاد فى الرقبة والرأس ، ثم العض العميق فى الكتفين ، والأخاديد المستطيلة فى الظهر والرجلين . وبالنسبة لـ (تونى) كان هذا الهول يمثل « .. سلسلة من الرجات العنيفة ، تفصلها فترات من التعتيم وانطفاء الأنوار ! » وسحق منظاره ، ورأى الومضات اللامعة فى المخيم والذى كان

يعتقد أنه قريب منه ، ولكن يبدو الآن كما لو أنه يبتعد بعيدًا عنه ، ويتضاءل رويدًا رويدًا .

ولكن أى أسد هاجمه ؟ لايمكن أن يكون شبلاً . فالأسد الذى يهاجمه يبدو قويًا كامل النمو ، ولا يقل وزنه عن 200 كيلوجرام ، ولا طوله عن مترين ونصف المتر . لم يكن لـ (تونى) أية فرصة ، وأغلق عينيه لمصيره ، وتلقى المزيد من اللطمات العنيفة من الكف ذى المخالب على رأسه وفتحت العديد من الجروح الغائرة .

ولأن (تونى) أصيب منذ اللحظة الأولى بالصدمة والارتجاج ، فلم يشعر بأدنى ألم ، ولم يسمع أى صوت . بالإضافة لإصابته بالشلل من جراء الأضرار التى أصيب بها ، والحيرة والارتباك الذى شمله . كان (تونى) يتذوق مقتل نفسه هو فى صمت ، كفيلم مرعب .

أمسك الأسد بعنق (تونى) ، وعضها بعمق . ولم يعد (تونى) يستطيع أن يتنفس من أنفه ، كما أنه لا يستطيع فتح فمه .

تذكر أن الأسود غالبًا ما تقتل بوساطة الخنق ، حيث

تستمر فـى قبضتهـا مثـل « المنجلـة » حتـى تتوقـف الضحية عن التنفس . وهذا الأمـر لا يستغرق أكثر من دقيقة .

خلال هذه الدقيقة ، التى كـاد تنفـس (تونـى) أن يتوقف خلالها ، فطن لأن هنـاك أسدين فـى المعركـة . وحينما حـاول فتح جفنيه الدمويين ، لمح (فريـدى) يندفع نحـوه أيضًا ، وفكر فى نفسـه « يا إلهى ! لا .. ليس (فريدى) أيضًا ! »

ولكن (فريـدى) ـ الشبل الصغير ـ لم يكن ليهاجم (تونـى) ، لقد كـان هدفه الأسد العظيم ، والـذى يبلـغ حجمه أربعة أضعاف الشبل . والتصـرف المناسب واللائق للأشبال ، أن يذعنوا للأسود البالغة والمكتملة النمو ، إذ إن هجوم شبل على أسد كامل يعد انتحارًا متهورًا .

ومع ذلك استمر (فريـدى) فـى هجومـه علـى الأسد الضخم ، وأشبعه عضًـا ونهشًا وزمجرة ودمدمـة ، فـى أجنابـه وخاصرتـه وأطرافه وذيلـه ، إلـى أن هب الأسد ووقف على قدميه المنفرجتين حول جسد (تونى) .



الشبل (فريدى) يحاول أن ينقذ صديقه (تونى) من قبضة الأسد

ولبرهة أتى هذا العمل ثمرته ، إذ أطلق الأسد قبضته عن رأس (تونى) ، وتحول إلى (فريدى) ، الذى أسرع بالانطلاق بعيدًا لإنقاذ حياته .

وقد كان فى إمكان الأسد اللحاق بالشبل الصغير (فريدى) ، وأن يمزقه قطعًا فوق نفس البقعة . ولكنه توقف عن مطاردته ، وعاد بسرعة نحو ضحيته .

ومرة أخرى أطبق على عنق (تونى) فى قبضة مميتة تؤدى للاختناق . وفكر (تونى) : « يا إلهى ! إننى أموت ! إننى أشعر بذلك ! » . وفى ثوان فقد وعيه مرة أخرى .

ولكن (فريدى) عاد إلى العراك ، وأخذ يقضم مؤخرة الوحش المندهش ، وأطلق سلسلة من الزمجرة والدمدمة والعواء ، فى شىء من الهجوم الجسور المتهور ، مع الكثير من العض والقرض والنهش .

ولم ينسحب (فريدى) إلا عندما وجه إليه الوحش ضربة عنيفة من كفه القوية ، ولكنه لم يستطع أن يوقف العدو .

وخلال الهجوم كان (تونى) مجرد ضحية صامتة ، والأسد قاتل صامت . أما الأصوات الوحيدة التى يمكن سماعها فقد كانت من (فريدى) ، الذى استمر فى زمجرته التى لا تلين ، ودمدمته وصراخه الثاقب العالى ، الذى لم يسمعه (تونى) . ولكن هذه الصرخات الحادة سمعها (إيريجومسا Erigumsa) ، طاهى المخيم .

فى البداية اعتقد أن اثنين من الأشبال يتصارعان ، ولكن عواء (فريدى) البعيد يبدو وكأنه يائس . وجرى الطاهى فى اتجاه البوابة الرئيسية ، وشاهد (تونى) وقد أصابه الأذى ، حتى اقترب من الموت . وأسرع (إيريجومسا) نحو خيمة الميس Mess المعدة للطعام على بعد 75 مترًا ، حيث كان الدكتور (آدامسون) يتناول الشاى . وصاح باللغة السواحلية Swahili ، ما معناه أن هناك أسدًا قد أمسك بـ (تونى) فى الخارج ، وهو يحاول أن يقتله .

اعتقد الدكتور (آدامسون) أن شبلين قد تجاوزا المألوف

فى اللعب ، وأصبحا خشنين بغير قصد . لذلك أخذ معه عصاه فقط ، وترك خلفه بندقية جاهزة للاستخدام ، وهرع من الخيمة . إلى خارج البوابة ، فشاهد (آدامسون) عنق (تونى) وقد احتجزت بين فكى أسد كامل النمو .

لم يكن هناك مزيد من الوقت للعودة إلى البندقية ، وكان عليه أن يتصرف فى الحال . وبدون لحظة تردد واحدة أو تفكير ، اندفع ليهاجم الأسد وهو يصرخ بجنون ، ملوحًا بعصاه ، وأصبح الدكتور (آدامسون) عرضة للهجوم ، ولكن الوحش ترك (تونى) ، وأخذ فى التراجع وهو يحملق مذهولاً فى الدكتور . كان الأسد يتراجع بظهره وهو يستعد للقفز من مسافة كافية ، ولكن الدكتور (آدامسون) كان يعرف ماذا ينوى أن يفعله ، ولذلك استمر فى التقدم نحوه وهو يصرخ ويلوح بالعصا فى وجه الأسد مباشرة .

وأتى ذلك بنتيجة فعالة ، إذ تردد الأسد وأصابه

الارتباك ، فاستدار بسرعة وانسحب داخل مجموعة من الأشجار ، وهو ملوث بدماء (تونى) .

الشىء التالى الذى أدركه (تونى) ، أنه كان يتعثر فى طريقه للعودة إلى المخيم ، مستندًا إلى الدكتور (آدامسون) وقال له بصوت واهن : « دكتور ، أعتقد أننى أموت مهما فعلت . ولكن بالله عليك ألا تقتل الأسد ، إنها غلطتى ، كنت غير منتبه ، وهو شىء لا يجب أن يحدث ! »

خلال دقيقة من وصول (تونى) إلى خيمته ، أسرع الدكتور إلى جهاز الراديو بالموجة القصيرة لاستدعاء خدمة الطبيب الجوية Flying Doctor Service لكن الوقت كان متأخرًا جدًا ، والمسافة من (نيروبى) وحتى المخيم تبلغ حوالى 217 كيلومترًا جوًا ، وتستغرق حوالى الساعة وربع الساعة بالطيران .

وتقضى القواعد الصارمة بمنع الهبوط بالطائرات فى الأحراش والسهول بعد الغروب ، حتى فى الحالات الحرجة .

وأكد المسئول فى (نيروبى) أن الطائرة سوف تصل فى الصباح الباكر . وأشار عليه بإجراء بعض الإسعافات الأولية لجراح (تونى) العديدة والعميقة .

وافق (آدامسون) على ذلك ، وهو يحدق فى الشمس الغاربة . ولكن هل يمكن لـ (تونى) أن يصمد الليل بطوله ، دون جراحة ونقل دم ؟

تعرض (تونى) إلى نوبات متعاقبة من غياب الوعى والتشنجات ، وأخذ يكافح طوال الوقت للتنفس والتمسك بالحياة . كان يردد فى داخله : « يجب على أن أتمسك بالحياة من أجل (ليندساى) ، والدكتور ، والأشبال . إننى أعرف الآن قيمة الحياة ، وسوف أتجاوز محنتى ! »

فى الفجر ، كانت الابتسامة واضحة على وجه الدكتور (آدامسون) ، و (إيريجومسا) . فبعد مرور 13 ساعة من الهجوم ، فما زال (تونى) حيًا .

كانت (ليندساى) أول من ظهرت من الطائرة عند

هبوطها ، ثم تبعها الطاقم الطبى . لقد خاطبها الدكتور فى المساء عبر الراديو ، وأعلمها عن حالة (تونى) . وتقول (ليندساى) وهى تسترجع تلك اللحظة : « .. لقد كنت أتوقع وجود جروح سيئة ، ولكن ليس فى كل وجهه ، إنه لا يكاد يستطيع أن يتنفس . كان الجانب الأيسر من رقبته مفتوحًا تمامًا ، وكل جروحه كانت تنزف ، لقد كان شيئًا مروعًا ! »

وخلال رحلة العودة بالطائرة إلى (نيروبى) مع (تونى) انهارت (ليندساى)،وانخرطت فى البكاء والنشيج.وتقول : « .. إننى أعرف كم هو يحب عمله ، ولكن إذا ظل على قيد الحياة ، فهل يريد أبدًا أن يعود ثانية إلى الأسود ؟ »

استمرت الجراحة العاجلة لمدة ساعتين فور وصوله إلى المستشفى . وكان هناك حوالى ثلاث دست من الجروح ، بعضها عميق وخطير ولا يمكن قفلها فى ذلك الوقت . أما قصبته الهوائية Trachea ، فقد عُصرت بشدة ولكنها لم تنكسر . وبمعجزة فريدة ، فإن أنياب الأسد لم تصب أى

عصب أو شريان أو وريد . ويعد (تونى) أحد القلائل الذين نجوا بحياتهم من قبضة الأسد .

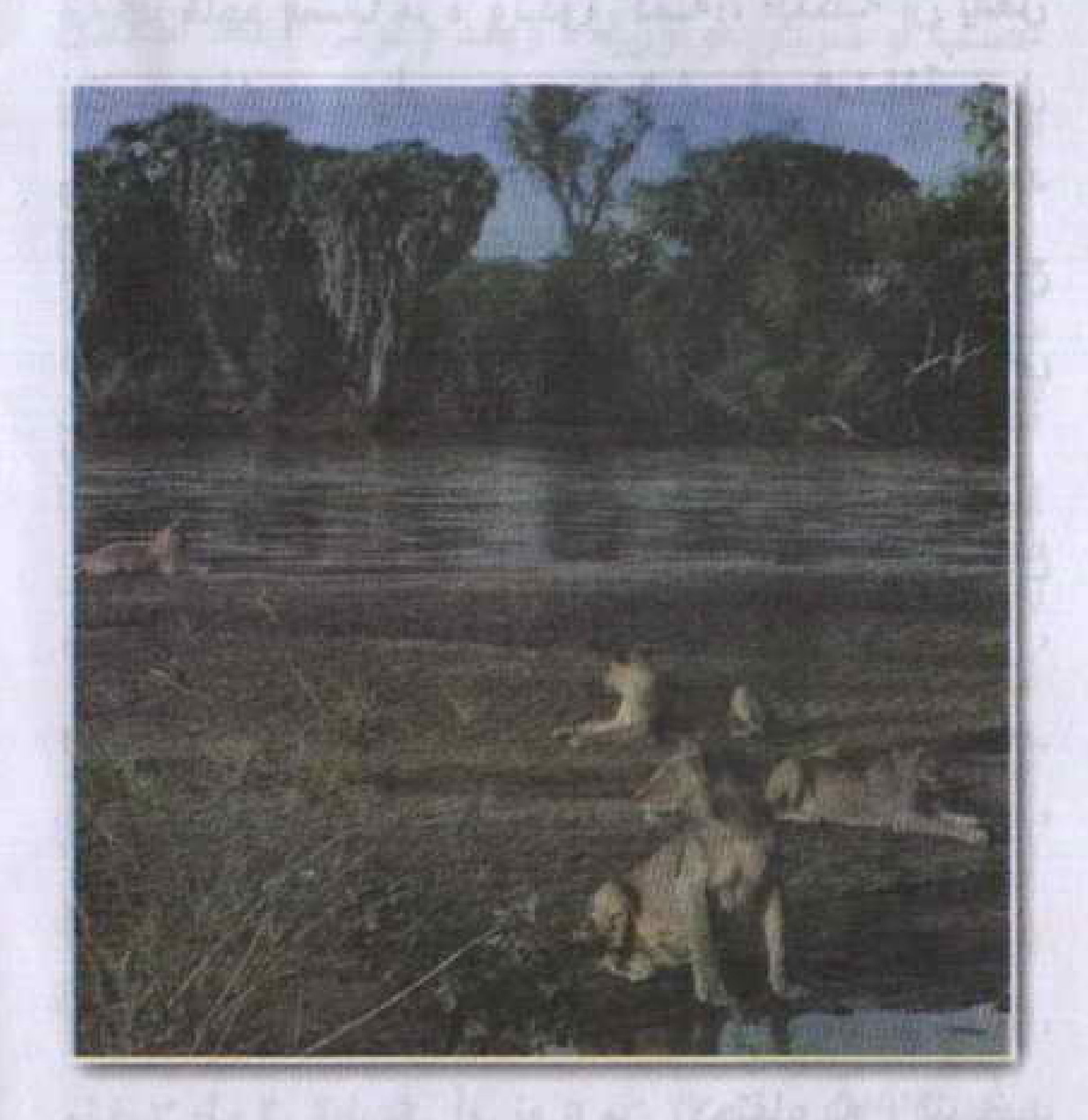
فى اليوم التالى للهجوم ، ظهر أسد برى ضخم خارج سور مخيم كورا ، وآثار دماء جافة على صدره ومقدمة أنفه . كان عمره حوالى السنتين ونصف السنة ، وكان الدكتور (آدامسون) يعرفه جيدًا منذ أن كان جروًا صغيرًا باسم (شايمان Shyman) . ولكن الأشبال لم تقترب منه ، كما أنه ـ وبطريقة غير مألوفة ـ بدأ يزمجر مهددًا ومتوعدًا إياهم ، فابتعدوا عنه بمسافة كافية . قاد الدكتور (آدامسون) سيارة اللاند روفر خارج المعسكر ، ووجهها بين (شايمان) والأشبال المذعورة . ثم أخذ يراقب (شايمان) بعناية ، وكانت حركاته شاردة وغير منتظمة وغير عادية .

لقد كان هذا الأسد فى السابق ، لطيفًا وديعًا حسن المعشر بل ومحبوبًا ، ومن المحتمل أنه تناول لحومًا مسمومة ، نصبها لصوص الصيد لوحيد القرن . وبما

أنه قد هاجم إنسانًا مرة وتذوق دمه ، فيمكنه أن يفعل ذلك مرة أخرى . وأصبحت حياة البشر فى المنطقة ، بل وحياة الأشبال والأسود الأخرى عرضة للخطر . وبعد مرور ساعة من ملاحظة تصرفات (شايمان) رفع الدكتور (آدامسون) بندقيته بحزن ووجه رصاصة إلى رأس الأسد .

إن المحنة التى مر بها (تونى) ، جديرة بأن تجعل أشجع الرجال يخشون المخاطرة مرة أخرى بالعمل فى الأحراش ، وهى محنة لن ينساها (تونى) مدى حياته . ولكنه تذكر أيضًا كيف أن شبلاً من أشبال الأسود كان صديقًا له ، وحاول أن ينقذه .

بعد شهرين من العلاج عاد (تونى) إلى مخيم كورا ، متخيلاً طوال الطريق أى نوع من الاحتفاء به والترحيب بمقدمه ، سوف يتلقاه بعد طول غياب ! عند اقترابه من المخيم ، شاهد الأشبال فوق صخرة عالية . وعندما شاهدته الأشبال اندفعت نحوه ، وكان صديقه (فريدى) فى



أشبال الأسود الأربعة فى مخيم كورا ، وقد جلس (فريدى) وحيداً قرب ضفة نهر تانا فى كينيا

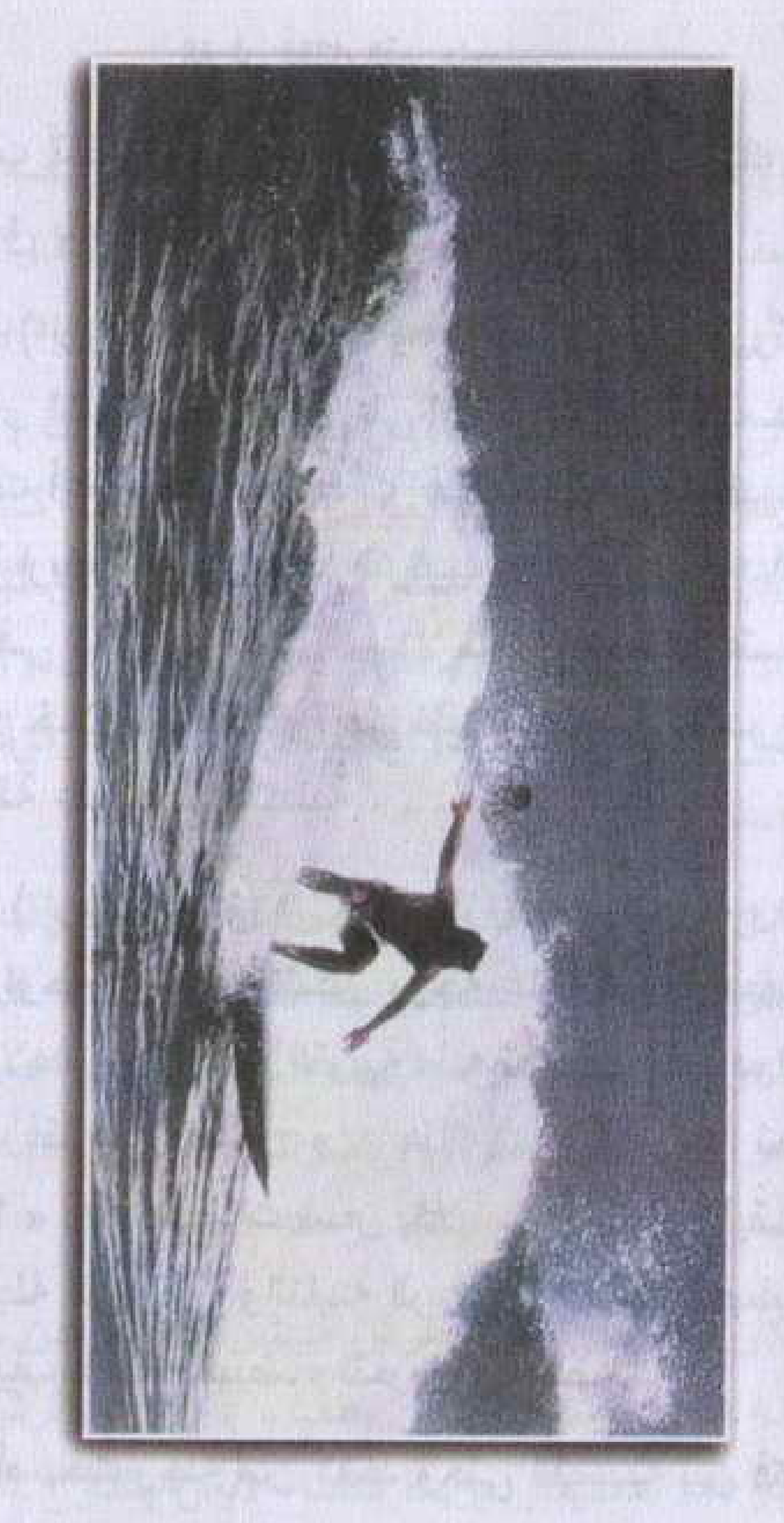
المقدمة ، مطلقًا عواءً طويلاً يئن بالحنين طوال الطريق . لقد كان الاحتفاء التقليـدى لا يتجـاوز الدقيقـة ، أمـا هـذه المرة فقد استمر لأكثر من دقـائق عشر ، حيث كـانت الأشبال السعيدة تقفز حوله ، وترتمى فوقه .

ويقول (تونى) : « .. إننى لم أفكر أبدًا فى التخلى عن المخيم . لقد أنشأنا هذا المكان لحماية الحيوانات من الانقراض . والكثير من الناس حول العالم يـأتون باستمرار ليشاهدوا أسودنا وهى تعيش حرة ، دون أدنى إزعـاج . ولن أتخلى عن أصدقائى ، فإنى أنتمى إلى هنا ! »



بتصرف عن المصدر :

Readers's Digest Magazine, An Article Titeled « Locked In The Lion's Jaws » . By Arnold shapiro, May. 1977. New York, N.y., U.S.A.



رياضة التزحلق وركوب الأمواج «سيرفبورد»

القرش القاتل الذى هاجمنى ..

بقلم : [بيتر مايكلمور]

كان الجو رائعًا فى صباح الأول من يوليو 1991 ، حيث الرياح جنوبية خفيفة ، والأمواج لا يزيد ارتفاعها على متر ونصف المتر ، حيث تتكسر على الشاطئ الضيق فى خليج (مونترى Monterey) ، جنوب مدينة (سان فرانسيسكو) بولاية (كاليفورنيا) الأمريكية المطلة على المحيط الباسفيكى .

كان الشاطئ الموحش خاليًا إلا من الأخوين (إيريك Eric) ، و (ديك لارسون Dick Larson) . وقد ارتدى كل منهما رداء الغطس الأسود ، ويمارسان رياضة ركوب الأمواج المتكسرة على الشاطئ (سيرفبورد Surfboard) مستخدمين الألواح الخاصة بذلك .

وفى الثامنة صباحًا اتجه (ديك) ـ 50 سنة ـ بلوحه نحو الشاطئ الذى يبعد حوالى 150 مترًا ، وقال لأخيه :

«سوف أنتظرك فى السيارة» فرد عليه (إريك) : «سألحق بك بعد قليل» .

كان (إريك) ـ 32 سنة ـ يعمل مهندسًا للإليكترونات فى إحدى الشركات ، وحصل على إجازة بدون مرتب بعد أن انخفضت أعمال الشركة وبدأت فى تخفيض موظفيها . ولكن (إريك) فضل هذا الترتيب ، على أن يعود إلى عمله فى الخريف التالى ، بدلاً من الاستغناء عنه . واندمج خلال هذه الفترة فى نشاط رياضى متنوع ، للمحافظة على لياقته البدنية .

أخذ (إريك) يحدق فى المياه الزرقاء من حوله وهو يمتطى لوحة ، منتظرًا تشكيل موجة عالية ليندفع معها . إلا أنه لاحظ أن المياه القريبة منه تضطرب فى دوامة عنيفة ، فقال فى نفسه : « .. هناك شىء كبير جدًا تحت الماء ! » وفى لحظات شعر بكلابتين قويتين تطبقان على رجله اليسرى ، وانتابه الرعب وهو يرى صفين من الأنياب المثلثة البيضاء تنغرس فى عضلاته .

لقد أصبحت رجله من الفخذ وحتى القصبة بين فكى

قرش أبيض كبير الحجم ، لا يقل طوله عن أربعة أمتار ونصف المتر . وفى رد فعل سريع أمسك بيسراه أنف القرش ، وبيمناه أسفله محاولاً فتح الفكين الفولاذيين .

فى تلك اللحظة فتح القرش فكه ، فأفلت (إريك) رجله بسرعة ، وأخذ يبتعد مع الموجة العالية . ولكنه تأخر فى ضم ذراعيه اللتين كانتا ممدودتين خارج لوح التزحلق على الماء . واندفع القرش باهتياج وهو يضرب الماء بذيله ، وأطبق القرش على الذراع اليسرى من المرفق وحتى المعصم .

كان (إريك) خائفًا لكنه لم يستسلم للذعر ، وقد انقلب من فوق اللوح . وأخذ يهاجم القرش بقبضته اليمنى ، حيث وجه إلى بطنه وخياشيمه ضربات متوالية سريعة . وشعر بقسوة جلد القرش وخشونته ، ولكن الضغط بدأ يخف رويدًا ، وأمكنه جذب ذراعه اليسرى .

كان (إريك) تحت القرش مباشرة بعيدًا عن فكيه ، ولكنه شعر بجسمه ينتفض بعنف ، إذ انتزع القرش حبلاً طوله 180 سنتيمترًا يربط كاحله الأيمن باللوح ، وجره

نحو القاع بسرعة كبيرة هو واللوح الخشبى . وفجأة أخذ (إريك) نفسه يتخبط فى أعماق المياه ، وقد انقطع الحبل ، ولا أثر للقرش أو لوح الأمواج .

اندفع (إريك) إلى سطح الماء ، وأخذ يعب الهواء ويتنفس بعمق . وعثر على اللوح طافيًا على بعد مترين ، فقفز إليه وتمدد عليه منبطحًا . وعندما ارتفعت به موجة ، جدّف بذراعيه تجاه الشاطئ بسرعة منتظمة . إلا أن كل حركة من ذراعيه كانت تخلف وراءها خيطًا طويلاً من الدماء الحمراء .

وأخذ يتلفت حوله فى رعب باحثًا عن الزعانف الظهرية ، فالقرش مازال قريبًا ويكفيه تتبع شريط الدم للعثور عليه . لم يجرؤ (إريك) على التجديف بسرعة أكبر من ذلك ، فكلما ازدادت سرعة حركته تزايدت ضربات قلبه ، ونزف المزيد من الدماء . وعندما قطع نصف المسافة إلى الشاطئ ، التفت وراءه فشاهد موجة عالية تندفع فى اتجاهه . واستطاع اعتلاء قمتها ، حيث تمكن من رفع رأسه لرؤية الشاطئ ، وأخذت يداه توجهان اللوح نحوه .

أطبق القرش الضخم الأبيض فكيه حول الرجل البحري



وسرعان ما وصل إلى الشاطئ وهو يحاول أن يهدئ من روعه ، وقال لنفسه : « .. لن ينال منى الآن ! » . وجلس على الرمال يتفحص الجلد الممزق تحت رداء الغطس ، وقد أحس بالدوار .

كانت الجروح تنتشر بطول رجله اليسرى ، حيث وصلت الأنياب إلى العظام وقطعت العضل . كما أن الدماء كانت تتدفق بغزارة من شريان مقطوع فى ذراعه اليسرى . لقد تمكن (إريك) من النجاة من فكى القرش ، ولكنه قد ينزف حتى الموت خلال دقائق .

ضغط (إريك) جرحه البالغ بيده اليمنى ، ورفع ذراعه اليسرى فوق رأسه . لابد أن الدماء كانت تنزف من الذراع منذ وقوع الحادث ، وبدأ (إريك) يشعر بالعالم يدور من حوله .

توجه (إريك) نحو كوخ إلى الشمال من الشاطئ على بعد 200 متر ، وهو يجر رجله اليسرى ، حتى غلبه الوهن فخر على الأرض . ولكنه أدرك أنه إذا فقد الوعى ، فلن يمكنه سد الجرح النازف ، وسوف يموت لا محالة . وفكر

بسرعة : « هل هذه هى نهايتى ؟! » وراح ذهنه يعمل بسرعة ، لقد تعلم السيطرة على مشاعره وعدم الاستسلام للمشكلات ، وهى الصفات التى كان من الممكن أن تعوق تفكيره وسلوكه وتقدمه فى عمله . وغمغم بضعف : « إننى لا أستحق الموت على هذا الشاطئ المهجور ! »

كان عليه أن يدور حول كتلة صخرية على الشاطئ ، حتى يمكن أن يكون على مرمى البصر من الآخرين ، فوقف بجهد وراح يمشى مترنحًا . وما إن قطع حوالى 50 مترًا حتى هوى على ظهره ، كان فى حاجة إلى رفع رجليه عاليًا ليتيح تدفق الدم إلى الأعضاء الحيوية . ولكن لم يكن هناك وقت ، فاستراح لنصف دقيقة ثم واصل السير ، وسقط على الرمال مرتين وهو فى شبه إغماءة ، وكانت الدماء لزجة على كفه ، ولكنه شد قبضته على الجرح وتابع السير فى إصرار وعزم .

ولمح أربعة شاليهات بحرية Bungalow على مسافة 90 مترًا ، فاتجه نحوها متعثرًا . ولكن لم يعد فى إمكانه الاقتراب أكثر من ذلك ، فجلس على الرمال وأخذ يصرخ : « النجدة ! »

فى أحد الشاليهات على الشاطئ سمع الفتى (بن بورديت Ben Bordet) ـ 16 سنة ـ نداء الاستغاثة ، فخرج يستطلع الأمر . فرأى رجلاً ممددًا على الرمال وهو يصرخ : « النجدة ! هاجمنى قرش . اتصل برقم الطوارئ 911 » . لاحظ (بن) أن الدماء تغطى ذراعى الرجل المرفوعتين ، فعاد بسرعة إلى الشاليه ، واتصل بالطوارئ . وأسرعت أمه (ميشال Michelle) إلى الشاطئ ، حيث رأت الرجل ممددًا على الرمال . وقال لها بوهن : « .. إننى أنزف ويجب وقف النزيف من ذراعى اليسرى . وهناك نقطة ضغط قرب الإبط ، اضغطى عليها بقوة ! » . وفعلت (ميشال) ما طلبه الرجل ، وجاء (بن) ومعه بعض فوط الوجه ، فأسند إليها قدمى الرجل كما أشار عليه ، ثم أسرع ليرشد فريق الإنقاذ .

وبعد عشر دقائق انضمت إليهما رئيسة فرقة إنقاذ محلية من المتطوعين . ثم جاء أخوه (ديك لارسون) ، الذى كان ينتظر فى السيارة دون أن يرتاب فى شىء .

وسرعان ما وصل فريق الإسعاف ، الذى أخذ فى معالجة (إريك) لقرابة الساعة . فزودوه بالأوكسجين النقى والسوائل بالحقن الوريدى . ونزعوا عنه رداء

الغطس ، وضمدوا جراحه ثم ألبسوه رداءً طبيًا مطاطيًا يمكن نفخه لضغط رجليه ، ودفع الدم إلى الجزء الأعلى من الجسم .

وجاءت طائرة هليكوبتر طبية حملته إلى أقرب مستشفى ، وقرر الأطباء أنه فقد نحو نصف كمية دمه بالنزف المستمر ، وكان ضغط دمه قد انخفض إلى مستوى خطير . وفى غرفة العمليات أخذ جراح يعالج ساقه اليسرى ، فيما كان آخر يعالج ذراعه اليسرى .

كانت العضلات ممزقة ، والأوتار مقطوعة ، والجروح عميقة ، والعظام وكأنها نشرت بمنشار .

استغرقت الجراحة أكثر من خمس ساعات ، نقل بعدها إلى غرفة العناية المركزة . وبعد أسبوع عاد (إريك) إلى منزله بالضمادات والجبائر حول الساق والذراع اليسرى . وخلال شهر عاد إلى نفس الشاطئ وهو يتكئ ليتذكر مغامرته المروعة ، وقال لنفسه : « لعل القرش اعتقد أننى من حيوانات الفقمة » (عجل البحر Seal) بسبب رداء الغطس الأسود ، ولكنه لم يستسغ مذاق المطاط فتركنى ! »

وشفى (إريك) تمامًا ، وعاد إلى عمله ورياضته المفضلة . ولكنه يقول : « سأخصص وقتًا أقل للرياضة ، فهناك أولويات مهمة والحياة قصيرة ، ولابد أن أحقق إنجازًا ما فى مجال تخصصى . وقد حان الوقت لذلك ! »



بتصرف عن المصدر :

Condensed from « International Wildlife Magazine ».
Nov. / Dec. 1991.
An Article by peter Michelmore,
Titled « Between the Jaws ! ».
published by The National Wildlife
Federation , Vienna , Virginia , U.S.A.

صراع فى محمية نمور البنجال ..

بقلم : [أولاف إيلاو]

ساد السكون الغابة ، وأحس الفيل الضخم بالخطر المحدق ، فأخذ يلف ويدور برغم الحبل الغليظ الذى يشد إحدى قائمتيه الأماميتين إلى شجرة قريبة ، رافعًا خرطومه إلى أعلى ومرسلاً صوتًا صارخًا ، ولكن صاحبه (رام مورتى Ram Murti) ، لم يتفهم تلك العلامات المنذرة ، واعتقد أن الفيل يعبر عن سخطه لشعوره بالجوع . فنزل من فوق شجرة البانيان الضخمة Banyan Tree ، حاملاً معه بعض أوراقها الغضة للفيل الجائع ، ولكن الفيل استمر فى هياجه ، فلم يعر (مورتى) الأمر اهتمامًا ، وعاد لتسلق جذع الشجرة وفروعها الطويلة المتدلية حتى الأرض .

وفى لمحة خاطفة تسلل نمر من مخبئه خلف الحشائش والشجيرات الكثيفة دون صوت ، وانقض فى قفزة صاعقة على ساق (مورتى) اليمنى والمتدلية من جذع الشجرة . فسقط الرجل والنمر متشابكين أسفل الشجرة .

كانت الحكومة الهندية قد قررت عام 1973 تنفيذ مشروع حماية النمر Tiger project ، لتجميع وحماية نمور البنجال Bengal القوية من الانقراض . وأقامت ـ بمساعدة الصندوق الدولى لحماية الحيوانات البرية World Wildlife Fund ـ حوالى 15 محمية قومية للنمور ممنوع فيها الصيد ، وحول كل منها منطقة عازلة عن القرى المجاورة ، مع إصدار القوانين الرادعة لمنتهكى قرارات الحظر . وهى مناطق نائية فى الشمال والشمال الشرقى للهند ، مقتطعة من الغابات البرية الشاسعة . تبلغ مساحتها الإجمالية حوالى 940 كيلومترًا مربعًا ، ويعيش فيها حاليًا ما يقرب من ألفى نمر فى سلام ، ولكل منها إدارة خاصة ، وحراس للغابة ، وعمال لخدمة الفيلة .

ومنها محمية (دودوا Dudhwa-Reserve) الصغيرة ، شمال العاصمة (نيودلهى) وقرب الحدود مع نيبال على سفوح جبال (الهيمالايا Himalaya) ، أيضًا محمية (سوندربان Sunderban-park) الكبيرة التى تقع جنوب مدينة (كالكوتا Kalkutta) شرق الهند ، وعلى الحدود



تسلل النمر من مخبئه خلف الحشائش الكثيفة ، وانقض فى صمت على فريسته

مع بنجلاديش حيث تشمل دلتا نهر (الجانج Gange) المقدس .

ويقول مدير مشروع محميات النمور ، الدكتور (رام لاخان سينج Ram Lakhan Singh) ، والذى يرأس أكثر من ثلاثة آلاف موظف فى كافة المحميات الهندية : « الواقع أنه برغم كل تلك الإجراءات المشددة ، فإن تجارة النمور ما زالت قائمة فى السوق السوداء فى (نيودلهى) وميناء (بومباى) . ويقوم رجال العصابات بصيد النمور حية من الغابات خارج مناطق الحماية ، باستخدام الفخاخ والصدمات الكهربائية والبنادق المخدرة . حيث يباع نخاع عظام النمر بحوالى 200 دولار للكيلوجرام الواحد ، لاكتساب القوة . وكذلك اللحوم والدماء الطازجة ! أما فراء النمر كاملاً بالرأس المحنطة ، فيصل ثمنه إلى 15 ألف دولار ! »

وكان (مورتى) يعمل فى محمية (كوربيت Corbett-park) التى تقع فى شمال شرق الهند ، وقد سميت كذلك تكريمًا لعالم الحيوان البريطانى ، (جيم كوربيت) الذى اهتم بالنمور الهندية والمحافظة عليها بعد

الحرب العالمية الثانية . وكان بالمحمية 44 نمرًا من نمور البنجال عند بدء المشروع ، وأصبح فيها نحو 133 نمرًا عام 1986 .

كانت مهمة (مورتى) ـ مع زملائه ـ رعاية الفيلة وتغذيتها بأوراق الشجر الغضة ، وهى الوسيلة الوحيدة الآمنة للتنقل داخل الغابة الواسعة . إذ إن ظهر الفيل يعد أصلح مكان لمراقبة النمور ، وخدمة علماء الحيوان الذين يقيمون لفترة فى المحمية . وكذلك حراس المحمية ، ورحلات المصورين والسياح . وفيما عدا ظهور الفيلة ، ومبنى إدارة المحمية فى (ديكالا Dikala) ، فليس هناك مكان آمن فى الغابة .

إذ حدث عام 1982 أن خرج العامل (ماهيش هوارد Mahisch Howard) ، وحيدًا على ظهر الفيل الذى يرعاه ولم يعد . وعثر بعد ذلك على بقايا ثيابه الملوثة بالدماء وبعض عظامه . وتعرف الحراس على النمر القاتل من آثاره التى انطبعت على الأوحال قرب المكان ، وكان نمرًا يعرف باسم (شيرو Shiro) فى سجلات المحمية ، وعمره إحدى عشرة سنة .

والنمور عادة لا تهاجم البشر ، إلا إذا حوصرت فى مأزق ، أو كانت جائعة ، ولكن الدكتور (تشاندرا سينج Chandra Singh) المدير المقيم لمحمية (كوربيت) يقول : « .. حين يتذوق النمر لحم البشر ، فإنه يضيفه إلى قائمة طعامه المفضلة ! »

وفى كل عام يفقد أكثر من 60 شخصًا حياتهم فى الريف الهندى ، ولكن هؤلاء الضحايا كان لديهم الجرأة لاقتحام الإقليم الخاص للنمور داخل الغابات ، وقد ألغت القوانين قتل تلك النمور الشرسة منذ عام 1978 ، إلا بعد إجراء تحقيق شامل .

وقد تبين أن (هوارد) المسكين قد أثار النمر ، باقتحامه حدود إقليمه الخاص به داخل المحمية . لذلك تقرر إعطاء النمر القاتل (شيرو) فرصة لإثبات براءته . ومنذ ذلك الوقت لم يعد يسمح لأى عامل بالخروج إلى الغابة منفردًا ، مع ضرورة أخذ الاحتياطات الوافية .

فى هذا اليوم من بعد ظهر الخامس عشر من فبراير 1984 ، خـرج (مورتى) ـ 29 سنة ـ على ظهر فيله



ظهور الفيلة ، هى المكان الآمن الوحيد للتجوال فى محميات النمور

(جوميتى Gumity) ، مصطحبًا زميله (شير خان Scher Chan) على ظهر فيله (مولى Molly) . حيث توجها إلى الجنوب الشرقى من مقر المحمية داخل الغابة لجمع أوراق الشجر .

توقفا قرب واد صغير ، حيث شاهدا مجموعة من أشجار الباتيان ، فحث مورتى فيله على التوغل بين الأحراش والشجيرات الكثيفة . ولم يتذكر على الإطلاق أنه فى نفس المنطقة التى قتل فيها زميله (هوارد) .

بعد حوالى نصف الساعة من جمع الأوراق ، لف السكون الشامل المنطقة ، وكتمت الطيور والحيوانات الصغيرة أنفاسها وقد استشعرت الخطر الداهم ، وفجأة انقض النمر على فريسته . سقط الرجل الذى لا يزيد وزنه على 54 كيلوجرامًا ، فوق النمر الضخم الذى يزن حوالى 230 كيلوجرامًا على الأرض .. ولو حدث العكس لتحطمت عظامه فى الحال . تلوى النمر واقفًا ، ثم انقض على فريسته ، وأطبق بأنيابه على مؤخر رأسه فى غضب عارم ، وبحركة واحدة من رقبته قذف بفريسته عاليًا فى الهواء .

تمسك (مورتى) بالأغصان المتدلية لشجرة الباتيان ، خوفًا من أن يحمله النمر ويتوغل داخل الغابة وتكون نهايته . وتقدم النمر متابعًا هجومه العنيف ، حيث أمسك بفكيه مؤخر رأسه مرة أخرى ، وانتزعه من الأغصان التى كان متعلقًا بها . لم يكن هناك دمدمة أو زمجرة ، وإنما عملية قتل وحشية تتم فى سكون رهيب .

وبالرغم من الدماء المتدفقة من جراح (مورتى) ، فقد تمكن من رؤية وجه النمر الشرس ، وعينيه الحمراوين . وللحظة حَول النمر نظره عن (مورتى) ، وهو يلوك قطعة من الجلد انتزعها من رأسه . فحاول الزحف والفرار ، ولكن النمر مد قائمته الأمامية بحركة غريزية ، وأنشب مخالبه فى ساق الرجل . كان صراعًا غير متكافئ بالمرة ، ولكن (مورتى) ـ فى سبيله للدفاع عن نفسه ـ مد يده اليمنى وأدخلها بين أنياب النمر وأمسك بلسانه .

أذهلت هذه الحركة الوحش ، ولكنه أطبق فكيه على كفه . لم يستسلم (مورتى) ، وعلى الفور وجه ضربة بقبضته اليسرى على عينى النمر ، ثم لاحقها بضربات متوالية ، حتى إن النمر انتفض وارتد إلى الخلف . ولكن

حيرة النمر تحولت إلى غضب مرتبك ، فضرب وجه (مورتى) بمخالبه ، فرد الضربة على أنفه بيمناه المسحوقة ، فارتد النمر إلى الوراء ثانية وهو فى حيرة من أمر هذه الفريسة التى تتحداه . بينما أسرع (مورتى) بالزحف نحو أغصان شجرة البانيان ، وعاود النمر هجومه ، فأطبق بفكيه على ظهره ، ورفعه عن الأرض وسحبه لمسافة قصيرة ، ثم وقف يحدق فى تلك الفريسة الجريئة .

حدث كل ذلك فى ثوان ؛ الأمر الذى لم يتح لـ (مورتى) الفرصة للصراخ وطلب النجدة من زميله ، أو حتى أن يشعر بالذعر . ولكن الصراخ أصبح ضرورة الآن ، ونادى بأعلى صوته : « النجدة ! هنا نمر يفترسنى ! »

ولكن زميله (شيرخان) رد عليه من مكانه على ظهر فيله : « كفى مزاحًا ! دعنا ننْهِ العمل ونعد بسرعة ! »

ولكن (خان) لاحظ أن فيله (مولى) يحاول الهرب من المكان بعد أن التقط رائحة النمر . فأدرك أن (مورتى)

كان جادًا فى ندائه ، واستطاع ـ بجهد ـ أن يسيطر على الفيل المذعور ، ووجهه نحو مصدر الصوت . واقتحم الحشائش والشجيرات الكثيفة بسرعة ، وهو يصيح بأعلى صوته : « راوت .. راوت » ـ أى « ابتعد عنه » . وفى هذه اللحظة كان (مورتى) يواجه الموت المرعب ، فلجأ إلى الملاذ الوحيد الذى بقى له ، وأخذ يصلى بصوت عال ، ويدعو ربه مستنجدًا .

عندما وصل (خان) بفيله ، فوقف حائلاً بين النمر وبين زميله الجريح . ارتبك النمر ، وانسحب إلى بضع شجيرات قريبة ، ثم وقف خارجها ينظر ما يحدث .

حاول (مورتى) أن يفك وثاق فيله (جوميتى) ، ولكنه لم يستطع بسبب يده اليمنى المهشمة ، وأوشك أن يغمى عليه من الصدمة والإجهاد .

ولكن صياح (خان) أعاده إلى وعيه : « .. لقد عاد النمر ليفترسك ! فكَّ رباط الفيل وانصرف من هنا ! » ورد عليه (مورتى) : « لا يمكننى ذلك .. فيدى مكسورة » . فقال له (خان) فى غضب : « عليك أن تفعل ذلك بأى حال من الأحوال ، فلا يمكننى النزول عن ظهر فيلى ، وإلا افترسنا النمر معًا ! »

كان النمر يتهادى حول المكان وهو يدمدم ، فأسرع (مورتى) بفك قيد الفيل بيده اليسرى ، وأخذ الفيل (جوميتى) يصرخ بصوت عال ، وقد رفع خرطومه ، فظن (مورتى) أنه سوف يفر هاربًا من الخوف . ولكن الفيل أذعن لكلمات (مورتى) ، وحنى رأسه وخرطومه إلى مستوى أدنى مما علمه من قبل . طوق (مورتى) خرطوم الفيل بجسده وساقيه ، فحمله (جوميتى) بلطف ، ثم رفع رأسه وخرطومه إلى أعلى ، حيث تسلق (مورتى) ظهر الفيل . عندئذ استدار الفيلان بصاحبيهما نحو مبنى إدارة المحمية فى (ديكالا) .

لم يكن فى استطاعة النمر الغاضب أن يفعل شيئًا ، فأطلق زمجرة عالية ، أعقبها بزئير مخيف . كانت الدماء تتقاطر من جروح (مورتى) على الأرض ، فيما كان الفيلان يسرعان فى طريقهما . وأخذ النمر يتبع خط الدماء على بعد 50 مترًا منهما ولعدة كيلومترات وهو يدمدم من الغيظ ، ثم اختفى فى الغابة .

بعد حوالى 45 دقيقة وصل الركب إلى (ديكالا) ، حيث

تم إجراء جراحة عاجلة لـ (مورتى) . ثم قضى عدة أشهر تحت العناية الطبية ، حتى تمكن فى النهاية من العودة إلى عمله فى محمية (كوربيت) أما النمر (شيرو) فقد نصب له حراس المحمية شركًا وأمسكوه حيًا ، حيث أرسل إلى حديقة الحيوان فى مدينة (كانبور Kanpur) ، ليقضى بقية حياته فى الأسر .



بتصرف عن المصدر :

Adapted from «Der Spiegel Magazine» .
Nr. 30/1987. An Article Titled
«Soll der Tiger Verkehrsampeln Beachten ?» , By
Olaf Ihlau, published
by «Der Spiegel» , Birandstwiete 19,
20457 Hamburg, Germany.

الدولفين الذى أنقذنا !

بقلم : [كارستن ستراود]

كان معظم العاملين فى إحدى الشركات الأمريكية لاستخراج البترول فى المكسيك ، يقضون إجازاتهم الدورية فى المنتجعات السياحية الشهيرة فى شبه جزيرة (يوكاتان Yucatan) الحافلة بآثار حضارة (الأزتيك Aztec) القديمة . ولأنى وزوجتى من هواة رياضة الغوص تحت الماء ، فكانت الشواطئ المطلة على خليج المكسيك مكانًا مثاليًا لهذه الرياضة . ولكنها تحفل بالتيارات البحرية العارمة ، والسفن الغارقة ، والوحوش البحرية الضخمة .

وقد اهتديت فى النهاية إلى جزيرة (كوزوميل Cozumel) ، التى تقع إلى الشرق من شبه جزيرة (يوكاتان) ، والمطلة مباشرة على البحر الكاريبى . ولقد اكتشفت فى الطرف الشمالى من الجزيرة بحيرة صغيرة منعزلة يتعذر الوصول إليها ، إلا بسيارة « جيب » عبر ممرات صخرية وعرة وغابة كثيفة .

ولكن البحيرة كانت محاطة بسلسلة من الصخور الكلسية الصلبة ، عدا منفذًا على المحيط الأطلنطى عرضه حوالى عشرة أمتار ، تكوَّن بفعل المد السريع فى المنطقة . وتنكسر الأمواج الصاخبة خلف هذا الحاجز ، بينما سطح البحيرة هادئ للغاية ، أو هكذا بدا على الأقل .

وقد حفلت البحيرة فى أعماقها بأنواع غريبة من الأعشاب والأسماك والأحياء المائية الاستوائية ، إلا أن معظم الوحوش الخطيرة ، مثل الباراكودا الشرسة السامة Barracuda والقرش Shark فإنها قد ظلت خلف السد خارج البحيرة .

فى الساعة الثالثة من بعد ظهر يوم 18 مارس 1979 ، اصطحبت زوجتى (ليندا Linda) إلى البحيرة ، للاستمتاع بالغوص وبما فى أعماقها من مشاهد جذابة . وتسللنا بملابس الغوص وأسطوانات الأكسجين والزعانف المطاطية إلى عمق عشرة أمتار قرب مدخل البحيرة . وبعد فترة سحبنى المد إلى المحيط خارج المدخل ، ولكن (ليندا) استجمعت قواها وجرتنى إلى داخل البحيرة .

وقد استغرق ذلك أكثر من نصف دقيقـة ، زفـرت خلالها كميـة كبيرة من الهواء بسبب الخـوف ، ولكـن رئتىّ لم تتوقفا عن العمل . مرت بضع دقائق أخرى كنت أحاول خلالها استعادة هدوئى ، والأهم من ذلك المحافظة على الإحساس بالحذر .

ولكننى لم أدرك مـا الـذى حـدث ، ولا (لينـدا) أيضًا أدركـت ، إذ اندفـع بجانبنـا جسم قـاتم ، ضخـم الحجـم . وكان اندفاعه بسرعة كبيرة حتى إنه خلّف وراءه دوامـة عنيفة ، ضغطت علينا ، وجعلت كلا منا يدور حول نفسه عدة مرات ، بـل وانتزعت قوتهـا قنـاع الأوكسجين من وجه (ليندا) .

وسرعان ما خطر لى أن هناك قرشًا ضخمًا من حولنا ، وقد دخل البحيرة من الثغرة المفتوحة على المحيط . فمددت يدى أبحث عن « هراوتى » ـ التى لا تفارقنى ـ وهى عصا غليظة من الخشب رُصع طرفهـا بالمسامير الحـادة . ثم لمحت (ليندا) تسبح فى اتجاهى وقد استعادت قناعها ، وفى هذه اللحظة اندفـع جسم أصغر حجمًا عبر الثغرة أيضًا إلى داخل البحيرة .



حفلت البحيرة بأنواع غريبة من الأعشاب والأسماك والأحياء المائية

وفى الحال استند كل منا إلى الآخر غريزيًا ، وظهر كل منا لزميله . وظللنا ندقق النظر فوقنا وتحتنا وفى كل اتجاه . فأبصرنا أنثى (دولفين Dolphin) مع صغيرها يسبحان فى ماء البحيرة على شكل دائرى ، على بعد حوالى 40 مترًا منا ، وهما اللذان دخلا البحيرة عبر الثغرة فى عجل ، وكانت صرخاتهما الحادة تشق سكون المكان ، ويتردد صداها عبر الصخور .

وعندما دنا الدولفين الصغير منا قليلاً ، لاحظنا أنه مصاب بجرح عميق خلف أنفه . ولم يكن لدىَّ الوقت للتساؤل عن سبب انفصال هذين الدولفينين عن سربهما ، إذ من الواضح أنها أم تحمى صغيرها ، والدلافين ـ كحيوانات مائية ثديية ـ لا تنطلق إلا فى مجموعات . واجتاحتنى قشعريرة انتفض لها جسمى كله ، بسبب الخوف من المجهول . فدنوت من (ليندا) ودفعتها بعيدًا نحو قاع البحيرة ، شعورًا منى بوجود قرش قريب منا ـ وهو من الأسماك ـ وإن كنت لم أستطع أن أراه .

فى اللحظات المتوترة التالية ساد البحيرة سكون

عميق ، ورحت أرقب كل شىء من حولى بحذر . وفجأة دخل الثغرة ببطء قرش من فصيلة النمر Tiger Shark ، يبلغ طوله حوالى الثلاثة أمتار ونصف المتر . وأخذ يتلفت برأسه من جهة إلى أخرى ، وهو يتحسس الماء من حوله . ولم تلبث ملامح القرش أن ظهرت لنا بوضوح ، بطن رمادى وظهر بنى اللون ، وزعانف متعددة وخطوط باهتة متموجة .

وما إن أصبح على بعد ستة أمتار ، حتى أخذت إحدى عينيه السوداوين تحدق بنا . وفتح فكيه فتحة صغيرة ، وانتفخت خياشيمه ، ولكنه تجاهلنا تمامًا واندفع ببطء داخل البحيرة .

ويبدو أن القرش كان يتتبع رائحة الدم النازف من جرح الدولفين الصغير ، والتى أثارته تمامًا إلى الحد الذى تجاهل فيه أية فريسة محتملة أخرى . ولو كان هذا الظن صحيحًا ، فربما ساعدنا الحظ على السباحة زحفًا عبر قاع البحيرة إلى المياه الضحلة نحو الشاطئ . وشددت نفسى بمشبك خطافى إلى حزام (ليندا) ، على أن تستكشف هى الطريق نحو الشاطئ ، وأراقب أنا الأمور خلفها .

وبدأنا نتحرك ببطء فى قاع البحيرة ، وقطعنا حوالى مائة متر دون أن نرى القرش أو الدولفينين . ثم اجتزنا عشرين مترًا أخرى من غير أن نرى شيئًا أو نسمع حتى أى صوت ، وأخذنا نتساءل عن مكان القرش وعما يفعله .

وفجأة شعرنا بحركة إلى جانبنا الأيمن ، فتلفت لأرى ظلاً أسود يتموج فوق القاع الرملى . وسرعان ما انقلبت على ظهرى ، ورفعت هراوتى لأغرس مساميرها فى خياشيم القرش . ولكنه اندفع فوقنا بفكيه الضخمين المفتوحين وأسنانه المثلثة على بعد قليل منا ، حيث تلوى بسرعة ودفعنا بذيله إلى خندق صغير فى القاع . ثم عاد بسرعة نحوى ، وسمعت قضمة عنيفة عندما أغلق القرش فكيه على الماء أمامى . ولكنه فتحهما من جديد وأطبقهما على صدرى ، وأخذ ينهش معدات الغوص المثبتة حول جسدى . ولكن لم يوقفه إلا رأس الهراوة بمساميرها التى انغرست فى حلقه . وفى نفس اللحظة تلوت (ليندا) تحتى ، وأغمدت سكينها البحرية

فى حلق القرش ، فاصطبغ الماء من حولنا باللون الأحمر القاتم .

كان القرش يتراجع إلى الخلف وهو يلوك الهراوة بين فكيه . ثم سمعت قرقعة وانفصلت رأس الهراوة عن العصا ، حيث دفعها بأسنانه إلى الصخور فى قاع الخندق . ثم عاد القرش نحوى فاغرًا فكيه ، وإذا بضربة عنيفة تنقض على جانبه وتبعده عنا .

امتزجت الدماء بالرمال والأعشاب البحرية من حولنا فى الخندق . ولمعت عينا (ليندا) ، ومدت يدها إلى صدرى تتحسس آثار الأنياب الحادة . وكادت لا تصدق أنى نجوت من كل ذلك ، برغم تمزق رداء الغوص المطاطى ، وسحق معدات الغوص . وأخذ القرش يدور حول نفسه على بعد عشرة أمتار منا ، وهو يتلوى ويتشنج ويعض الماء ، ولكننا لم ندرك مصدر تلك الضربة التى أقصته عنا وأنقذت حياتنا .

ولكن سرعان ما عاد القرش إلينا بفكيه الفاغرين ، وبإصرار واضح الشراسة . وما إن أصبح على بعد أربعة

أمتار ونصف المتر ، حتى انقضت عليـه الدولفين الأم مـن جانبـه الأيمـن ، وكـالت لـه ضربـة عنيفـة قرب زعنفتـه الصدرية . فتدفق من فم القـرش كتلـة سـوداء كبيرة لـم نتبين معالمها ، فاستدار القرش بسرعة ليضرب الدولفين . ولا شك أنه ألحق بها بعض الضرر ، ولكن لم يتبيـن لنـا معرفة مداه .

راح القرش يدور ويتقلب على جنبه لمطاردة الدولفين ، فاغتنمنا الفرصة للعودة إلى المياه الصافية قرب الشاطئ . وبينما كنا نبتعد عن المياه المخضبة بالدماء والأوحـال ، متوقعين ظهور خطم القرش أمامنا نفد منـى الأوكسجين . فسحبت أنبوب الاحتياط ، وأشرت إلى (ليندا) لإعلامهـا أنى بدأت فى الاعتماد على الأوكسجين الاحتياطى ، الذى لا يستمر عادة إلا لبضع دقائق .

انزلـق الدولفيـن الصغير فوقنـا منطلقًا كالسـهم إلـى عرض المحيط من خـلال الثغرة . وحسبنا أن الدولفين الأم ستلحق به ، ولكن لم يحدث . وكنـا على بعد حوالى



عاد القرش بسرعة ليهاجمنا بفكيه الضخمين

70 مترًا من الشاطئ ، والقرش الجريح يقبع على مسافة 15 مترًا خلفنا ، فبقينا مرتكزين على رمال القاع إلى أن يبتعد . ولكنه استدار فى اتجاهنا مرة أخرى ، ثم مر من فوقنا وخياشيمه تطفح دمًا .

وهنــا رأيت الدولفين الأم تسبح على مسافة غير بعيدة إلى يميننــا وهى تقرقع بمنخريها فوق السطح . وأصبح القرش الآن فى المياه الضحلة ، يفصل بيننــا وبين الشاطئ . وأخذ يسبح فى محاذاة الشـاطئ ، كمن يبحث عن فريسته الأولــى ، ثم استدار بعنـف واتجـه نحونا .

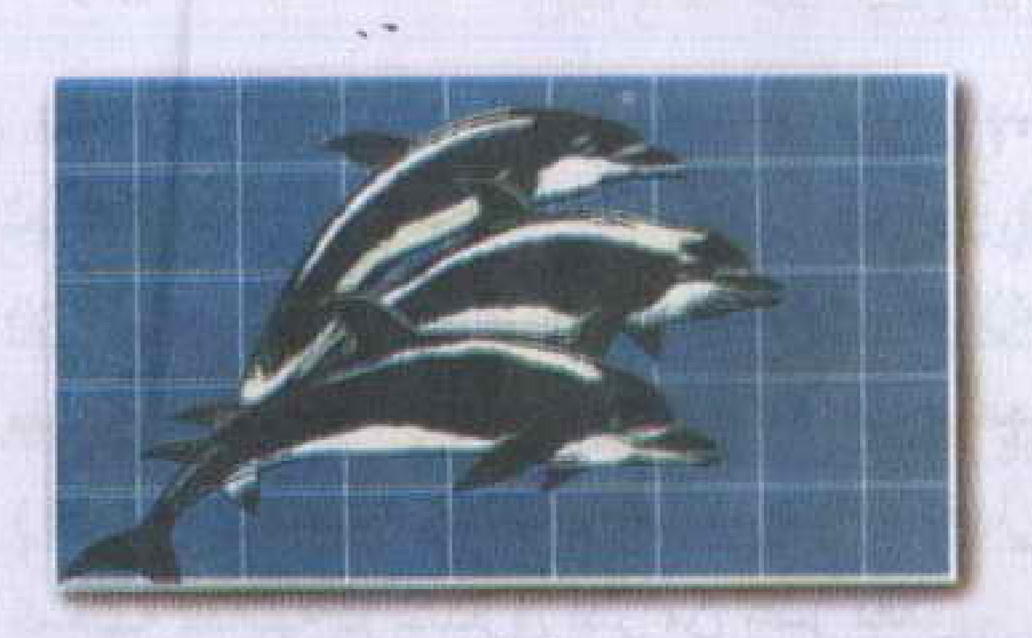
وسارعت إلى الصعود مبتعدًا عن (ليندا) ، وخطر لى أن أضربه بالسكين المشرشرة ، ومـا إن أصبح القرش على بعد مترين منى حتى ضربت ، ولكنى لم أصب شيئًا . ففى أقل من ثانية اجتـاز المسـافة الفاصلة بيننـا وغطس تحتى . ولكنه بدلاً من مهاجمتى ، أخذ يتجه نحو الثغرة

منطلقًا إلى عرض المحيط . وما هى إلا لحظـات ، حتـى استدارت الدولفين الأم حولنا وأطلقت صيحات متناغمة ، واتجهت بدورها إلى المحيط فى أعقاب ذلك الوحـش الشرس .

تسمرت أنا و (ليندا) برهة مشدوهين وسط المياه ، ثم أخذنا نطفوا إلى السطح . ولم نرفع رأسينا فوق الماء إلا على مقربـة عشرة أمتار من الشاطئ . ثم ارتمينـا منهكين تمامًا على صخرة فى مواجهة المحيط . وانفجـرت (ليندا) فى ضحكـة خاطفـة وأشارت إلى ساعتها ، إن المحنــة القاسية لم تستغرق أكثر من عشر دقائق .

فى شرفة الفندق مساءً ، أخذت أستعيد مع (ليندا) تفاصيل الحـادث ، محاولاً الإجابة عن الكثير من الأسئلة المتصاعدة . ولماذا عمد القرش إلى مهاجمتنـا بدلاً من تعقب فريسته الأولى ، الأمر الذى أتاح للدولفين الأم الفرصة لإبعاد الخطر عن صغيرها ؟ ثم لمـاذا حاربت الدولفين

الأم من أجلنا ؟ ثم لماذا لم تهرب مع صغيرها عبر المنفذ إلى المحيط ؟ بل ظلت فى البحيرة قريبة منا ، ولم تتركها إلا بعد أن غادرها القرش ؟!



بتصرف عن المصدر :

Condensed from « Sports Illustrated Magazine » , July 1979. An Article Titled « Fighting Between Dolphin and Tiger Shark », By Carsten Straud. Time Inc., Time and life Building, Rockefeller Centre, New York, N.y., 10020, U.S.A.

ظلت الدولفين الأم بجانبنا تحمينا من القرش حتى خرج من البحيرة



كان يمكننى أن أرى أسنانه البشعة ، وقد برزت من فكيه المتلويين

محنة مع تمساح بحيرة أوتر !

بقلم : [جاك رودلوف]

التف التمساح الضخم حول منحنى شاطئ البحيرة متجهًا نحو كلبى ـ وهو من كلاب الصيد الضخمة من نوع الإيريدال Airedale ـ وانتابنى الذعر ، فناديته بسرعة وبصوت عال « ميجان .. ميجان ! » وبدأ الكلب يسبح فى اتجاهى عبر المياه الضحلة فى ارتباك . بينما كانت العينان الباردتان الصفراوان للتمساح تنزلقان مباشرة على صفحة المياه المعتمة لـ (بحيرة أوتر Otter Lake) ، وقد ثبتتا على (ميجان Megan) رفيقى وصديقى منذ ثلاث سنوات .

عندما كان الوحش يندفع بسرعة ، كان يمكننى أن أرى الأطراف البيضاء المدببة لأسنانه البشعة ، وقد برزت من فكيه المتلويين . كان (ميجان) متحيرًا على وشك الخروج من المياه ، يسبح فى اتجاهى وغير عابئ بالخطر . وكانت أرجله تضرب القاع الضحل ، ويبذل

أقصى ما فى طاقته وهو ينظر إلىّ ، وقلت لنفسى :
« .. سوف يتمكن من الهرب ! »

ولكن هذا الحيوان الزاحف المصفح ، قطع عليه الطريق بسرعة هائلة . إذ اندفع التمساح ـ فيما هو غير مألوف ـ إلى أعلى ، وانفتحت أغشية قدميه الأماميتين ، بينما برزت مخالبه كل على حدة بطريقة مرعبة للغاية . كما لو كان حيوانًا منقرضًا عاد إلى الحياة ، من حيوانات الـ (دايناصور Dinosaur) أو زواحف الـ (تايرانوسورس Tyrannosaurus) .

وفى لحظة خاطفة انقض التمساح ، وأطبق فكيه على الكلب . ثم أخذ يلفه ويمرغه ويدحرجه ، ساحبًا (ميجان) نحو القاع حيث الرمال والأوحال والأعشاب البحرية . وصرخت فى غضب وارتياع : « .. إنه يقتل (ميجان) ! » ، وبدافع غريزى وجدت نفسى أقفز على ظهر هذا الشىء الذى يهاجم كلبى .

لقد سبحت برفقة (ميجان) فى هذه البحيرة لسنوات ، ولم أشعر على الإطلاق بالقلق من وجود التماسيح . ولقد شاهدتها مرارًا وكانت دائمًا تتصف بالخجل وتفضل الانزواء

بعيدًا ، فهذه المخلوقات البرية حالما ترى إنسانًا يقترب تغوص فى الأعماق . وربما قام الأشخاص الذين يقضون إجازات نهاية الأسبوع فى هذا المكان ، بإطعام هذه التماسيح برءوس الأسماك ، حتى فقدت كل مخاوفها للإنسان .

ولكن مستوى الماء كان منخفضًا ، بعد تجفيف المستنقعات لإقامة مشاريع جديدة ، وكذلك بتأثير حرارة شهر يوليو اللافحة ، وكان على التماسيح أن تفتش البحيرة والمستنقعات الضحلة من حولها بحثًا عن الطعام .

كانت بحيرة (أوتر) مكانًا مثاليًا بعيدة عن الأنظار ، حيث تقع فى شمال الأحراش البرية لولاية (فلوريدا Florida) الأمريكية ، وقد اشتهرت بهذا الاسم لكثرة كلاب البحر Otter بها . وكانت البحيرة بما حولها من الغابات والأراضى السبخة والرمال المتحركة ، أبعد ما تكون عن مظاهر الحضارة ومتاعبها من تليفونات وفواتير وبرامج تليفزيونية سخيفة .

وكنت كلما أصابنى الملل والإرهاق أمام الآلة الكاتبة ،

أحاول أن أزيل هـذا الشـعور بالمياه الباردة فى البحيرة مصطحبًا كلبى . وكانت البحيرة تنتشر على مساحة 200 آكر مربع ـ حوالى 208 أفدنـة مربعـة ـ ولكـن المـاء انحسر كثيرًا عنها الآن ، فضلاً عن أنه أصبح معتمًا عندما أخذ التمساح يصفع صفحة الماء بذيله .

انزلقت فوق ظهر التمساح المصفح ، محـاولاً البقـاء عليه والتشبث به ، « .. يا إلهى ! إننى فعلاً أمتطى ظهر تمسـاح ! » . كـان ملمسـه غريبًـا ، وكثـير الصفـائح العظميـة ، وجافًا غالبًا وليس لزجًا كمـا كنت أعتقـد . واكتشفت أنه ليس هنـاك سنتيمتر مربع واحد لينًا أو مرنًا ، فى هذه الدرع الشديدة الصلابة .

وبينما كنت أكافح للبقاء على ظهر الوحش ارتفع لأعلى للتنفس ، مما جعل الصفائح أو الحراشـيف المصفحـة تبرز وترتفع من مكانها . لقد بدا الحيوان فجأة وكأنه قد امتلأ وانتفش بالأشواك والحراب العظميـة .

تجاهل التمساح وجودى تمامًا ، وماج بسرعة إلى الأمـام برأسه ليحصل على قبضـة أفضل من جسد (ميجان) ،



وجدت نفسى أمتطى ظهر التمساح محاولا إنقاذ صديقى (ميجان)

تمهيدًا لأن يختفى كله فى بطنه المرعب . تعلقت به بيأس محاولاً عرقلته عن الغطس فى المياه العميقة المظلمة .

ولكن الفكين الفولاذيين كالفخاخ لم يكونا قابلين للمرونة ، وأدركت أنهما يعتصران الحياة والتنفس من (ميجان) ، عندما شاهدت ذيلاً من الفقاقيع الهوائية تندفع إلى أعلى .

حاولت مرارًا جذب الفك الأعلى ، ولكن لا شىء يمكن أن يشتت انتباه تلك العظائه الوحشية عن هدفها الرهيب ، وهو سحب ضحيتها إلى أعماق البحيرة وإغراقها . ولحسن حظى أن المخ الصغير الحجم للزواحف لايستطيع إلا أن يركز على هدف واحد . لقد كنت مجرد عائق لحركة الحيوان ، ولم أكن بديلاً للضحية .

شعرت بركبتىَ تنجرفان خلال الأعشاب البحرية على القاع الرملى ، بينما كان التمساح يتراجع بعناد نحو المياه العميقة . وقلت لنفسى : « العينان .. اتجه إلى العينين ! » ، تلمست أصابعى طريقها فوق الجمجمة

الصلدة ، حتى لمست العينين . وجدت الجفنين المزدوجين لعيون التمساح ، أحدهما غشائى شفاف والآخر من الجلد السميك ، تقفلان بإحكام هذه البقعة المكشوفة المعرضة للهجوم . حاولت ضغط أصابعى إلى أعمق ، ولكنها كانت ترتد ثانية ، كأن هناك مكبسًا ميكانيكيًا يدفعها بعيدًا .

أسرع التمساح فى سباحته ، وأصبح القاع أكثر انحدارًا ، لقد كان الوحش يقترب بسرعة من عالمه الخاص . واستطعت أن ألتقط نفسًا عميقًا قبل أن تغطى المياه القاتمة رأسى . وأدركت أن جهودى لإنقاذ (ميجان) أصبحت عديمة النفع ، وكيف يمكن أن يعيش وقد تعرضت عظامه ورئتاه للطحن والاختراق مما لا يقل عن ثمانين من الأنياب القاطعة والحادة ، طول كل منها لا يقل عن 2.5 سنتيمتر .

كان ذيل التمساح الطويل يتلوى جيئة وذهابًا ، ويدفعه إلى الأمام مع كل ضربة ، متجهين مباشرة نحو منتصف البحيرة . أخذت نفسًا عميقًا مرة أخرى ، وفى اللحظة التالية كنا نتجه إلى أسفل . وشعرت بالإرهاق الشديد ،

وبدأت رئتاى تؤلمانى ، كما أحسست بالخوف يطبق علىَ .. الخوف على نفسى !

عندما فقدت الأمل ، وأصابنى اليأس تخليت عن المطاردة ، وجعلت ـ بكآبة وحزن ـ أراقب جسد التمساح وهو ينزلق نحو أعماق البحيرة . وشاهدت تحتى أغشية الأقدام الأمامية ثم الخلفية ثم الذيل المتموج ، ولكنى لم أستطع أن أرى (ميجان) ، ولن أستطيع أن أراه مرة أخرى أبدًا .

سبحت إلى أعلى ، لأملأ رئتى بالهواء ، وعندما استطعت أن أتنفس مرة أخرى ، أطلقت صرخة عالية لرجل مجروح أخفق فى إنقاذ صديق له . وفى النهاية وصلت إلى الشاطئ وأنا ألهث من الإرهاق ، وألعن الزواحف كلها بطريقة غير مترابطة . واستدرت خلفى فى ندم ، ونظرت إلى البحيرة الخاوية ، كان سطح الماء هادئًا كالمرآة يعكس صورة السحب البيضاء المتكاثفة .

توجهت إلى سيارتى وأنا أعانى المشاعر المتباينة من الخيانة والغدر والهجوم والاقتحام والاعتداء ، وبأنى جرحت وحُرمت من صديق أحبه .

اندفعت إلى الطريق السريع نحو منزلى ، وأنا أشعر بصدمة كبيرة .

لأيام طويلة ظللت أشعر بالاكتئاب ، وافتقدت (ميجان) بطريقة مروعة . وما زلت أتخيل شكل وجهه ذى الشعر الخشن ، وأنفه الذهبى ، وعينيه السوداوين وهو ينظر إلى فى ارتباك ، وأنا أحثه على الخروج من البحيرة . ومرارًا وتكرارًا كنت أستعيد تفاصيل ومشاهد ما حدث عند البحيرة ، وكأنه شريط مسجل حىَ ، وكنت محظوظًا لأن أظل حيًا .

وكنت أشعر بالقشعريرة تنتاب جسدى كله حينما أتذكر أنه فى نفس البقعة التى هوجم فيها (ميجان) ، اصطحبت زوجتى وطفلى الصغير عدة مرات للعوم .

ولأكثر من عشرين عامًا كنت منغمسًا فى حالات كثيرة خاصة بالمحافظة على البيئة ، أحاول أن أحمى صغار طيور البلُشون ، أو مالك الحزين Heron الأزرق ، والسلاحف والتماسيح والحيوانات والطيور البرية الأخرى من طغيان تكنولوجيا الحضارة الإنسانية المعاصرة .

إننى أعلم أهمية أثر البيئة فى الحيوان والنبات Ecology ، وهى بالنسبة للتماسيح ضرورية للحياة ، كما أن المستنقعات بدونها تفتقر إلى التوازن . ولكن بعد موت (ميجان) ، وجدت نفسى ممزقًا مختلط العواطف .

مرت ثلاثة أسابيع قبل أن أعود إلى بحيرة أوتر ، وانطلقت مع زوجتى فى قارب صغير بمجدافين Canoe . كنت أريد أن أرى التمساح مرة أخرى حتى أشفى الجرح الذهنى الذى أصابنى به ، وحتى أعيد ترتيب وتخزين المعلومات فى ذاكرة مخى فى مكانها المناسب لحيوان دموى حىّ .

وفجأة اندفع رشاش من الماء إلى أعلى مع دوامة عنيفة ، وماج التمساح مبتعدًا عن قاربنا . ولوهلة عادت المخاوف والكراهية إلى نفسى ، وشعرت لحظتها بأننى لا أريد شيئًا أقل من الانتقام ! ولكن البحيرة بما حولها من مستنقعات كانت الملجأ المناسب والصحيح للحياة البرية .

لقد كنت أنا فى المكان الخاطئ لممارسة العوم ، وليس التمساح ، حيث إنه فى موطنه ومحل إقامته الطبيعى . أخذت أراقبه ببطء وأدركت أنه ليس شريرًا كما يُظنّ ، ولكنه مجرد تمساح يمارس حياته بغريزته فى بيئته الطبيعية .. ولم تتغير هذه الزواحف منذ 60 مليون سنة ، حيث إنها مبرمجة بالغريزة لالتهام أى شىء حى يمكن أن تجده فى الماء .

نظر التمساح فى اتجاهنا بجرأة ، ولكنها مسألة وقت فقط ، فقد كان عاجزًا أيضًا ، بالاستمرار فى تجفيف المستنقعات وقطع المياه عنها . فإن لم يكن هذا العام ففى الأعوام القادمة ، الذى ينبغى فيه القضاء عليه . وإلى أن

يحدث ذلك ـ حتى بعد أن استدرجنى للجحيم وقتل كلبى ـ فإننى أشفق عليه .. وتلك هى المأساة !



المستنقعات بالنسبة للتماسيح ضرورة حياة ، كما أنها تحافظ على التوازن

بتصرف عن المصدر :

Condensed from : « Audubon Magazine » .
An Article Titled « Ordeal at otter Lake » , by Jack Rudlof, July 1982.
950 Third Avenue, New York, N.y.,
10022, U.S.A.

الصراع الصامت مع الذئب القطبى ..

بقلم : [رون راو]

حدث يومًا أن قررت القيام بنزهة سيرًا على الأقدام ، بعد انتهاء نوبة عملى الليلية ، وكنت أعمل فى المنحدر الشمالى لمرتفعات (بروكس رينج Brook's Range) فى أقصى شمال ولاية (آلاسكا Alaska) الأمريكية ، داخل الدائرة القطبية الشمالية Arctic Circle . كان ذلك فى شهر مايو 1974 ، حينما بدأنا فى تركيب ومد خط أنابيب البترول عبر (آلاسكا) حتى الولايات الأمريكية فى الجنوب ، مخترقين الأراضى الكندية . وكان عملى بالقرب من بحيرة (جالبريث Galbraith) ، الذى يعد أقصى مخيم فى الشمال القطبى ، ما بعد سلاسل الجبال .

وكانت مرتفعات بروكس إلى الجنوب من مقر إقامتنا ، تبدو شامخة فى انحدار شديد ومغطاة بالجليد ، تتخللها الوهاد والجروف الحادة ، ومنظرها يبعث على التشاؤم . وإلى الشمال منا توجد مجموعة من التلال والهضاب

الملتفة ، حيث تميل وتنحدر بعد ذلك إلى أسفل حتى مستوى شاطئ المحيط القطبى الشمالى Arctic Ocean ، على بعد حوالى 160 كيلومترًا .

وقررت السير نحو الشمال ، مصطحبًا الكاميرا ، حيث يمكننى التقاط بعض الصور لمستودعات المحطة والمخيم ، مع سلسلة المرتفعات الوعرة فى الجنوب كخلفية طبيعية رائعة .

كانت عقارب الساعة تشير إلى الرابعة فجرًا عندما بدأت السير ، وكان هناك بالفعل ضوء يكفى لالتقاط صور جيدة ، فالصيف القطبى كان يشملنا بالفعل . استمررت فى السير لمدة خمس عشرة دقيقة عندما عثرت على قرن وعل أو إيل شمال أمريكا Elk ، من فصيلة كاريبو Caribou ، يبلغ طوله حوالى المتر وقد أصبح ناصع البياض من أشعة الشمس . واعتقدت على الفور أنه يمكن أن يصبح إضافة جيدة للصور ، حيث يمكن أن أثبته فوق رابية وأجعل المخيم البعيد داخل الإطار المتشعب للقرن . وكان القرن له ست شعب مسننة حادة ، اثنتان منها مكسورتان .

تهاديت فى نزهتى لمدة ساعة أخرى حاملاً القرن فى يدى ، متجهًا نحو الهضبة المرتفعة التى نويت التقاط الصور من فوقها ، حينما لمحت الذئب القطبى لأول مرة على بعد حوالى 50 مترًا منى . كان مقبلاً فى طريقه معترضًا خط سيرى بزاوية محددة ، تميز كل الخطوات المقيدة الخاصة بفصائل الذئاب القطبية البيضاء Wolve ، أو ذئاب برارى أمريكا الشمالية البنية اللون ، والكيوت Coyote الأصغر حجمًا .

وتوقفت فى مكانى ، ولكن الذئب استمر فى خطواته حتى أصبح أمامى مباشرة . ثم استدار ونظر إلى ، كما لو كان يعرف تمامًا طوال الوقت ، أننى هنا فى ذلك المكان الخاص به .

كنت أعرف أن الذئاب لا تجوّل عادة منفردة ، بل فى مجموعات أقلها ثلاثة أفراد تتبع قائدها . وكان رد فعلى الأول ، أن نظرت حولى بهدوء وبطء لأعرف إن كان هناك قطيع من الذئاب ، وكان وحيدًا كما يبدو . وكانت هذه المنطقة التى تصنف جغرافيًا تبع مناطق التاندرا




عنت الذئب على مبعدة منى ، خارجًا من أخدود أرضى ليعترض طريقى

Tundra ـ وهى مراعى وغابات المناطق القطبية الشمالية ـ تخلو تمامًا من الأشجار ، متقلبة تمتلئ بالأخاديد والخنادق ، كما تكثر فيها التلال والأكمات والروابى والهضاب التى غطتها الحشائش القطبية القصيرة والزهور البرية .

وربما كان هذا هو السبب فى أننى لم أستطع أن أراه من قبل ، لأن الذئب كان خارجًا من فوره من منخفض جانبى .

ووقف قبالتى هناك على أرجله الطويلة المريعة يحملق فىّ ، وكانت أقرب شجرة تبعد عنى حوالى 160 كيلومترًا ، ولكنى ما زلت أفكر فيها . كل ما كنت أمتلكه لحماية نفسى مُدية صغيرة Jack-Knife ، وقرن وعل الكاريبو Caribou Antler . وقلت لنفسى : « إن الذئاب نادرًا ما تهاجم إنسانًا ـ إذا هاجمت أصلاً ـ إلا فى مجموعات !

ولكن هناك على مبعدة خمسين مترًا منى يقف حيوان وقد نتأ شعر عنقه . حيوان برى يمكنه أن يقتلنى ، فهل يعرف ذلك أيضًا ؟ »

كنت أدرك أننى يجب ألا أظهر أى دلائل للخوف على



تحرك الذئب فى اتجاهى ، فتحركت نحوه مسلحًا بقرن الوعل والمُدية

الإطلاق ، وأن أتصرف بهدوء وثقة وحذر . فالإحساس بالخوف يطلق رائحة مميزة تنتشر عبر الجلد وتعرفها الحيوانات البرية ، ولو استشعر الذئب مظاهر الخوف فسوف أواجه المتاعب حتمًا ، وربما كنت أواجهها بالفعل !

مكثنا فترة هكذا نتبادل النظرات المباشرة ، كنت أفكر خلالها بثبات وبسرعة . ليس هناك مكان للالتجاء إليه ، ولا موضع للاختباء فيه ، وكنت على بعد أكثر قليلاً من ثلاثة كيلومترات من المخيم . كل ما يمكن أن أفعله هو أن أكون مهاجمًا ماكرًا جريئًا ، حتى أكون مقنعًا للذئب بأننى لست المخلوق الذى يتلاعب معه ويهزأ به . وقررت استخدام قرن الوعل للدفاع عن النفس ، إذ يبدو مدببًا لما يلزم وثقيلاً بما يكفى ، حيث كانت أطرافه الحادة تمتد بطول عشرين سنتيمترًا . فإذا ما وصل الأمر إلى الصراع ، فيمكننى أن أصل إلى ضلوعه ، آملاً أن تخترق الأطراف المدببة ما بينها إلى الرئتين .. وفتحت المُدية من جرابها ، وقبضت عليها بيسراى .

بدأ الذئب يدور حولى فى دورات واسعة ، حين بدأت

فى العودة نحو المحطة مباشرة ، وفى خط مستقيم قصير دون التفافات ، ولكن بصحبة الذئب ! فإذا توقف ، توقفت أيضًا ، إذ لاحظت أننى مع اتجاه الريح بالنسبة له . ولست أريد له أن يشتم رائحتى بأى حال ، وأن يعرف مدى الذعر الذى شب داخلى ! فضلاً عن ذلك ، فقد كنت واحدًا من البشر فى منطقة موحشة ، فى مواجهة حيوان برى يبحث عن فريسة ، ومدرب على الفتك بالغريزة .

صحيح أن أسلافنا تغلبوا على الكثير من المصاعب والمواقف المشابهة على الأرض لآلاف السنين ، ولكن ليس بقرن وعل . فحتى الإنسان البدائى البسيط ، الذى كان يعيش على الفطرة ، لابد أنه كان مسلحًا بطريقة أفضل مما أنا عليه ، على الأقل كان لديه سهم أو رمح أو سيف أو درع !

بدأ الذئب مرة أخرى فى الدوران حولى فبدأت المسير ، فإذا توقف توقفت أيضًا . كان كل منا يبحث عن نقاط الضعف فى الطرف الآخر . وكان للذئب عينان رماديتان ضاربتين للصفرة ، ويزن حوالى 45 كيلوجرامًا وهو

نصف وزنى ، ولكنه بالتأكيد يستطيع قتلى . ولكن ما أروعه من مخلوق ، بأرجله الطويلة الرشيقة القوية ، والتى خلقت خصيصًا لتناسب التجوال فى سهوب التاندرا ومراعيها وغاباتها فى أقصى الشمال القطبى .

وعندما بدأت السير ثانية ، فعل الذئب ذلك أيضًا . حصرت ذهنى تمامًا فى قرن الوعل ، الذى يعد فى الواقع الأمان الحقيقى فى مثل موقفى . وقلت لنفسى : « .. عليك أن تطعن ضلوعه وحدها ، فمن المحتمل أن يتحطم القرن لو ضربته على الجمجمة » . وأخذت أنظر إلى القرن فى يدى ، وألوح به فى قوة وتحدٍ . ولكن لو أمكننى فقط أن أشحذ أطرافه على الأحجار وأجعلها أكثر حدة ، عندها سوف يكون لدى شىء يمكن الاعتماد عليه حقًا . ولكن برغم ذلك كانت شعب القرن مدببة بما يكفى .

توقف الذئب فجأة ، فتوقفت أيضًا ، ثم ربض فى مكانه وهو يواجهنى ، وكنت تواقًا لمعرفة ماذا يدور فى مخه . وبالتأكيد لم يكن الذئب خائفًا ، برغم أن البشر بالنسبة له مخلوقات غريبة فى إقليمه النائى الخاص .

فالإسكيمو Eskimo يقطنون بعيدًا ناحية الشمال على سواحل المحيط المتجمد . وهنود الأثاباسكان Athabascan ـ الذين يعيشون على الصيد والرعى ـ على بعد كبير ناحية الجنوب . ولذلك فربما كنت المخلوق البشرى الوحيد الذى يتعامل معه الذئب لأول مرة فى حياته ، هذا إذا كان لم يغادر إقليمه الخاص فى رحلات أو هجرات لمسافات بعيدة .

قررت أن أتخذ المبادأة ، وبدأت السير نحو المخيم . كان الذئب رابضًا على يسارى بعيدًا عن خط سيرى إلى المحطة ، ولكنه مازال على بعد 50 مترًا فقط . وبدأ يدور حولى فى دوائر ولكن بحذر شديد ، بحيث لا يقترب أو يبتعد عن هذه المسافة ، وبدأنا المسير مرة أخرى وبنفس النمط والتكرار المروع .

وفجأة توقف أمامى وفى مواجهتى مباشرة ، معترضًا طريقى نحو المخيم ، وكان فى إمكانى أن أرى بوضوح شعر رقبته المنتفخ . ودمدمت بصوت مسموع ـ ليس من الغيظ أو بالغريزة ـ ولكنها دمدمة أعنيها تمامًا . وتفكرت فى قرن الوعل بيدى ، لقد كان طويلاً بما يكفى لأن أقوم

بتطويحات موجهة ، وتلويحات قصيرة ، القصد منها الإرباك والعرقلة للاقتراب أكثر ، والصراع يدًا بيد ، ثم إلى الضلوع مباشرة . وتحرك الذئب ، ولكن هذه المرة فى اتجاهى تمامًا . وتحركت أنا أيضًا فى اتجاهه ، وأنا أدمدم وأزمجر بصوت عال ، ولعلها هذه المرة بصورة غريزية دفاعًا عن النفس .

تحرك كل منا فى اتجاه الآخر ربما ثمانية أمتار ، قبل أن يتوقف كل منا فى مكانه ، وقد ضاقت المسافة كثيرًا عن قبل .

مرت بضع ثوان ، وكنت أعرف ما ينبغى أن أفعله ، كان على أن أتخذ الخطوة التالية . وفى الحال تحركت فى اتجاهه وكلى إصرار على مجابهته ، فقفز فجأة لمترين على أحد الجوانب ، تمامًا كأن نحلة لدغته . ثم بدأ يتقهقر الأمتار التى تقدمها من قبل ، وعاد إلى نفس المسافة الفاصلة بيننا ـ خمسين مترًا !

وانتشى جسدى كله بالقوة والثقة ، لقد تراجع الذئب الوحشى أمام تقدمى نحوه . لقد أظهر علامة على الرهبة ،

أو على الأقل الارتباك والحيرة ، وهى المشاعر التى تسبق الخوف . ولأول مرة أدركت أننى كنت أرتجف أيضًا ، ربما من شدة الغضب وعنف التحدى وعمق المأزق الذى وجدت نفسى فيه والخشية من آثاره .

كنت بالفعل أعانى أحاسيس متضاربة ومختلطة ، ولكن الأمر انتهى عند هذا الحد ، أو ليس كذلك ؟ أو لم يتراجع ؟ تحولت عنه ثم اتجهت إلى المخيم ، وكان الذئب فى الجهة اليمنى ، حيث بدأ يدور حولى مرة أخرى ، وهو يحاول أن يكون مع اتجاه الريح **Downwind** حتى يمكنه استخدام حاسة الشم .

ولكنى أسرعت الخطى ، وقلت لنفسى: « .. لا تسرع فى مشيك ، حتى لا يستشعر أى مظهر من مظاهر الخوف » . لذلك توقفت ، وواجهت الذئب مرة أخرى ، كانت المسافة بيننا قد أصبحت 75 مترًا ، وهى أبعد من أن أتمكن من رؤية شعر رقبته النافر . تفرس كل منا فى الآخر لدقيقة على الأقل ، ثم استدرت وبدأت السير .

فى هذه المرة لم أتوقف ، فلو تتبعنى فإننى أعرف

تمامًا ما سوف أفعله . ولقد كان يجب أن أفعله منذ البداية فى المقام الأول . كان علىَّ أن أتوقف وأثبت مُديتى فى نهاية طرف قرن الوعل . وكان يمكن أن أستخدم رباط الحذاء فى ذلك ، وربما كان من الحكمة أن أتوقف وأفعل ذلك الآن كما فكرت ، دون أن أجلس على الأرض وأعطى الحيوان البرى فرصة للانقضاض علىَّ ، ولكنى واصلت السير .

كان الذئب يقتفى آثار رائحتى ، ويتشمم موضع أقدامى ، ثم يرفع أنفه عاليًا فى اتجاه هبوب الريح من ناحيتى وهو يعوى . سرت فى أخدود عميق ، وأصبح الذئب الآن خارج نطاق بصرى . مرت دقائق خمس لم أر الذئب ، وأسرعت الخطى مباشرة نحو المخيم ، كما مرت خمسة عشر دقيقة ولم أعد أراه . ولأول مرة شعرت بالأمان ، وليس بالبهجة .

وجدت أننى كونت داخلى شعورًا دافئًا بالاعتماد على قرن الوعل ، والاطمئنان إليه للدفاع عن النفس . ومن المؤكد أنه بدونه كنت تصرفت بطريقة مختلفة تمامًا ،

وربما لم أكن أستطيع تملك الجرأة والثبات كى أتجه إلى الذئب بمجرد مُدية صغيرة . وكنت أتساءل : ما الذى كان يدور فى ذهن الذئب القطبى عندما تتبعنى طوال الوقت ؟

ما الذى يمكن أن يحدث إذا كنت قد شعرت بالفزع والارتياع وبدأت فى الجرى والفرار ؟ وما الذى يمكن أن يحدث لى بدون قرن الوعل ؟!

كنت أقترب من المخيم وأنا أسير فى الأخدود ، حتى إننى بدأت أشم رائحة طعام الإفطار فى أثناء إعداده ، وأنا على بعد 300 متر منه ، إذ إن نوبة النهار تستعد لبدء العمل بعد الإفطار .

وبدأت أشعة الشمس تنتشر فوق الجبال ، وكان صباحًا رائعًا . وقفت خارج الأخدود ، وأنا أتساءل : ما الذى يمكن أن أفعله بقرن الوعل ؟ كان فى إمكانى بالطبع أخذه معى داخل الطائرة عند عودتى ، ولكن ذلك سوف يقلل كثيرًا من قيمته ، إذا نقلته من مكانه الطبيعى . لقد قدم لى خدمة ممتازة فى محنتى ، سأظل أذكرها دائمًا ، وربما أمكنه أن يقدم خدمات مماثلة لآخرين ، لذلك طرحته أرضًا على التل الصخرى .

وكما يحدث فى السينما لمقاعد هوليوود وطولاتها حيث تتحطم إلى قطع صغيرة فور استخدامها فى معارك الشاشة ، وجدت ـ ويا للغرابة ـ قرن الوعل وقد تحطم إلى نصفين !



كان الذئب يقتفى آثار رائحتى ، ثم يرفع أنفه عاليًا فى اتجاه هبوب الريح وهو يعوى

بتصرف عن المصدر :

Condensed from : « Sports Illustrated Magazine », May 1975. An Article Titled « My Showdown with a Wolf ». By Ron Rau. Time Inc., Time and life Building , Rockeffeller Centre, New York, N.y., 10020, U.S.A

ليلة الرعب مع اللبؤة !

بقلم : [آن هاسكيل ، وباتريك باشيكو]

كان (إيلفاس إمبونجيلا Elfass Mbongela) يشعر بالرضى بعد أن أدى عمله ، وقضى اليوم بطوله للعناية بمخيم (مالامالا Mala Mala) الذى يعد مكانًا خاصًا لصيد الغزلان ، ممنوع دخوله إلا بتصريح خاص .

ويقع هذا المخيم بالقرب من حديقة (كروجر Kruger) الوطنية الشاسعة المخصصة للمحافظة على الحيوانات فى جمهورية جنوب إفريقيا ، والمحظور الصيد فيها لجميع أنواع الحيوانات .. ولسنوات طويلة كان (إيلفاس) ـ الذى يبلغ السابعة والثلاثين من العمر ـ يعمل كقصّاص للأثر Tracker فى المخيم ، واستكشاف آثار الغزلان والحيوانات البرية ومنتهكى قوانين الصيد .

وقد شغف بعمله وبرع فيه ، وعرف تمامًا المنطقة بالكامل بما فيها المحمية وغابة (كروجر) ، وأصبحت السلطات

تعتمد على خبرته وتثق بفطنته وأمانته . وقد أكسبته وظيفته الثروة واحترام أفراد قبيلته الوطنية (شانجان Shangaan) ، مما أتاح له إمكانية تقديم مهر ثلاث زوجات من القبيلة .

وعندما بدأ الظلام ينتشر بسرعة ، دخل (إيلفاس) كوخه ، فيما كانت زوجته الثالثة (فينا Vinah) ـ 23 سنة ـ تحاول أن توقد نارًا خارج الكوخ .

كان ذلك فى مساء يوم 21 مارس 1980 ، حيث يتسم نسيم الليل بلسعة باردة .

فى البداية لم يلاحظ (إيلفاس) الصمت الغريب الذى خيم على المكان كله . فعلى بعد حوالى عشرين مترًا قبعت لبوءة Lioness ـ أنثى الأسد ـ فى بقعة كثيفة من النباتات الشوكية ، وقد تثبتت عينيها الصفراوين المتوهجتين على المرأة التى أنحنت نحو النيران . وحبست الطيور والحيوانات الصغيرة البرية أنفاسها وقد استشعرت الخطر ، وهى عادة ما تملأ المخيم صخبًا بشقشقاتها وصفيرها عندما تأوى لأشجارها وأعشاشها عند الغروب . فيما زحفت اللبوءة



وجه (إيلفاس) ضربة قوية للبوة ، فأطلقت فريستها

ببطء ، وقد التصق بطنها تمامًا بالأرض ، وبسطت أذنيها للأمام .

وفجأة وثبت بجسدها الذى يزن حوالى 160 كيلوجرامًا على (فينا) . وسرعان ما تدحرج الاثنان فى دوامة على الأرض ، بينما أخذت المخالب الحادة للبؤة فى تمزيق جسد فريستها من الظهر والأجناب . وتهيأت الشرسة للإطباق على عنق المرأة لخنقها بأنيابها المروعة .

جحظت عينا (فينا) من الرعب ، ولكنها استجمعت قوتها ، وسددت قبضتها إلى أنف الحيوان ، ثم صرخت .

اندفع (إيلفاس) خارجًا من كوخه ، وقد تملكه الذعر . ثم عاد بسرعة ليلتقط عصا خشبية ، وجهها نحو اللبؤة وهو يصرخ بأعلى صوته . ثم وجه ضربة قوية إلى رأس اللبؤة ، ولكنها حنت رأسها ، فوقعت الضربة على كتفها ، وانكسرت العصا نصفين . ولأن الضربة كانت مفاجأة للحيوان ، فقد زمجرت اللبؤة ودمدمت وكشرت عن أنيابها ، وأطلقت فريستها وتراجعت بعيدًا .

أما (إيلفاس) ففقد توازنه من عنف الضربة وسقط

على الأرض ، وأما (فينا) فزحفت بسرعة وهى تسحب جسدها المثخن بالجروح نحو الأمان النسبى فى الكوخ ، بينما كانت اللبؤة تحوم فى دوائر كى تهجم مرة أخرى .

ولكن (إيلفاس) تمالك نفسه وقفز عاليًا ، ووجه ضربة هائلة بعصاه المكسورة ، حيث أصابت كتفها مرة أخرى ، فاستدارت اللبؤة وجرت نحو الأدغال والحشائش الكثيفة .

كان (إيلفاس) يتقهقر بثبات نحو باب الكوخ ، حينما خرجت اللبؤة من تجمعات الأعشاب . فالتقط (إيلفاس) بضع زجاجات بجانب الحائط وقذفها فى وجهها ، ولكنها استمرت فى التقدم . فقذفها بكرسى صغير من الخشب فأصاب وجه الحيوان بإحكام ، فارتدت مرة أخرى . وصرخت (فينا) فى هلع « .. أرجوك اطردها بعيدًا ، لاتدعها تقتلنى ! »

أغلق (إيلفاس) الباب الصغير المصنوع من أعواد النباتات وأفرع الأشجار ، وأحكم رتاجه . ثم أخذ يبحث فى الكوخ عن أى سلاح يصلح للدفاع عن النفس ، ولكن

لم يكن هناك سوى معطف ثقيل ، وحاشية من المطاط استخدمتها (فينا) للاختباء ، وكيس للنوم وبعض الملاءات والثياب . ووقع بصره على أنبوب معدنى يبلغ طوله حوالى المتر ملقى على الأرض .

وبينما كان يلتقط الأنبوب ، نظر خلفه فشاهد نصف جسد اللبؤة داخل الكوخ ، محشورًا فى الفتحة التى تعلو الباب . وللحظة طويلة حدق كل من الغريمين فى عين الآخر ، وكان وجه اللبؤة شريرًا للغاية بتأثير الغضب والجوع .

قذفها (إيلفاس) بالأنبوب ولكن اللبؤة تراجعت ، وارتطم الأنبوب بالباب . وتساءلت (فينا) فى استسلام : « هل قدر لى أن أموت ؟! » فأجابها (إيلفاس) بثقة : « .. بل سوف تعيشين ، وسوف أنقذك ! »

سمع (إيلفاس) صوت تكسر أغصان ، فنظر من إحدى كوات التهوية الصغيرة المفتوحة . كانت اللبؤة تغدو جيئة وذهابًا ، تتشمم رائحة الدم الذى لطخ براثنها .

قال (إيلفاس) لنفسه : « .. أى نوع من الأسود هذا

الذى يطارد البشر ؟! يبدو أن هذا الحيوان تقمصته روح شريرة ، وهذا الشر موجه نحونا . ولكن لماذا كل ذلك ، والقنص متوفر للحيوانات البرية فى الغابة الواسعة؟! »

ركع (إيلفاس) وأخذ يصلى بحرارة ، وهو يسمع أنين زوجته الغارقة فى بركة من الدماء ، ومنحته الصلاة شعورًا بالقوة عمت كل جسده . وبشعور خفى ، أدار رأسه فوجد نفسه يحدق فى عينى اللبؤة الصفراوين مباشرة .

راحت اللبؤة تنتقل من كوة إلى أخرى ، فيما وقف (إيلفاس) متأهبًا وسط الكوخ ، وقد أمسك بالأنبوب المعدنى فى قبضته ، وعيناه ترقبان الفتحات بالتناوب . وغمغم فى حيرة : « .. يا لهذا الحيوان الماكر الخبيث !» فلم يكن يعرف من أين تأتى الضربة التالية .

سمع (إيلفاس) نعيب بومة وخوار فرس النهر ، ثم أطبق الصمت القاتل مرة أخرى على الكوخ المظلم .

بحث (إيلفاس) عن مصباح زيت البارافين وأشعله paraffin Lamp ، وكانت الدماء الجافة قد التصقت بذراعيه وملابسه ـ إنها دماء زوجته (فينا) ـ قال لها بهدوء : « .. سوف أغسل جروحك وأنظفها » .

أشعل نارًا من بعض الأخشاب والقش بجانب الحائط ، كافية لغلى الماء ، ثم أخذ يعصر الماء المغلى من قطعة قماش مبللة بالملح فوق جروح زوجته ، ويزيل من حولها الدماء والأتربة المتجمدة ، كعمل لابد من إنجازه لتطهيرها ، فشقت صرخاتها سكون الليل . وأخذها بين ذراعيه القويتين ، حتى هدأ نشيجها وأنينها .

فجأة صرخت (فينا) ثانية وقد تجمدت عيناها من الرعب ، وأشارت إلى الفتحة أعلى الباب . عندما نظر (إيلفاس) لم ير شيئًا هناك ، وقال لنفسه : « يجب أن أمنع الحيوان من النظر إلى الداخل » .

وبسرعة ثبت المعطف الثقيل على الفتحة أعلى الباب ، وسد بالفراش الكوتين الباقيتين ، معتقدًا أن اللبؤة لن تستطيع أن تميز أين تقع فتحات الكوخ ، بعد أن سُدت جميعها .

ولفترة ساد السكون كل شىء ، فربما تكون اللبؤة قد غادرت المكان ، وصرخ بأعلى صوته وسط الظلام عدة مرات ، ولكن لا شىء . وأزاح المعطف قليلاً ونظر إلى

الخارج ، كانت اللبؤة جاثمة تحت الباب مباشرة . فقفز الرجل إلى الخلف ، فيما وثبت اللبؤة عليه ، ولكنها أخطأت وجهه ببضع سنتيمترات .

التقط بسرعة خشبة مشتعلة ضرب بها وجه الحيوان ، فتطاير الشرر فى كل مكان . زمجرت اللبؤة من الألم ، وجذبت المعطف من فتحة التهوية بأعلى الباب واختفت .

كان (إيلفاس) يعرف أن اللبؤة سوف تعود مرة ثانية ، ومرت ساعة ثم أخرى ، فهل ابتعدت اللبؤة ، أم أنها جاثمة فى الخارج تتربص ؟ وبهدوء جمع (إيلفاس) كل ما أمكنه جمعه فى الكوخ وقابل للاشتعال من ثياب وملاءات وأكياس النوم ، وغمسها بزيت البارافين ثم أشعلها . وراح يلقى بكل قطعة مشتعلة خارج الكوخ ، وفى الوهج البرتقالى الذى أحاط بالكوخ ، شاهد اللبؤة وهى تتهادى وتترقب .

شعر (إيلفاس) بقواه وهى تكاد أن تنهار ، إنه لن يستطيع الصمود أكثر من هذا ، وبدأت (فينا) تئن وترتجف من الحمى والصدمة ، وفكر (إيلفاس) « لقد

تحديت الموت من قبل إلى أبعد مدى ، وربما أمكننى الآن أن أفعل ذلك أيضًا ! »

عثر (إيلفاس) تحت الفراش على بانجا panga - وهى سكين إفريقية ثقيلة وطويلة تستخدم فى قطع الأغصان - واستعملها فى حفر مواطئ لقدميه فى الجدار الطينى الداخلى للكوخ . ثم أخذ يتسلق الجدار إلى أعلى ، حيث فتح كوة فى سقف الكوخ المصنوع من الغاب والأغصان والقش . وأعان (فينا) بوضع قدميها فى الثقوب المحفورة فى الجدار ، ودفعها عبر الكوة العلوية ، حتى ارتقت سطح الكوخ .

وما إن اختفت بين طيات القش العلوية حتى تنفس بارتياح : « لقد أصبحت الآن فى مأمن » . ثم صعد بدوره إلى أعلى ، وراح يحفر فى القش بحثًا عن الدعامة الرئيسية للسقف ، حيث ثبت فيه حزامًا من الجلد لفه حول خصر (فينا) ، حتى لا تتدحرج إن فقدت وعيها .

وأخذ الزوجان يتحدثان بهدوء فيما تبقى من الليل .

وكان (إيلفاس) يسمع بين الحين والحين أنفاسًا عميقة تتردد تحته ، لقد كانت اللبؤة داخل الكوخ تلعق الأرض الملطخة بالدماء .

مع أول خيوط الفجر ، شاهد (إيلفاس) اللبؤة على بعد ستة أمتار من الكوخ ، تراقب الفتحات والباب . وكانت (فينا) تئن بضعف ، فهى تحتاج إلى رعاية طبية عاجلة وإلا ماتت . ولكن أقرب مكان للمساعدة يقع فى (لوندولوزى Londolozi) ـ وهو عبارة عن معسكر سافارى Safari Camp لرحلات الصيد يقع على بعد ثمانية كيلومترات شرقًا .

نظر (إيلفاس) إلى أسفل ، لقد اختفت اللبؤة كالشبح ، وانتظر عودتها مدة طويلة ، حتى إذا كانت التاسعة صباحًا عادت مرة أخرى .

فقذفها (إيلفاس) بقطعة خشب ، أصابت فرع شجرة فوق رأسها ، فالتفتت إلى سطح الكوخ ، ثم مضت مبتعدة .

ظل (إيلفاس) يراقبها طويلاً حتى اختفت عن نظره فى



فى الصباح التالى ابتعدت اللبؤة عن الخيم فى اتجاه الغابة الواسعة

اتجاه الغابة . وما إن شعر بالأمان حتى قال لزوجته : « يجب أن أذهب فى طلب النجدة » ، فهمست بضعف : « سوف أذهب معك ! » فقال لها : « سيتعين علينا أن نعبر النهر ، وسوف تشم التماسيح رائحة الدم » ولكن (فينا) رفضت البقاء .

ولما هبطت إلى الأرض أمسكت حزام زوجها بيدها اليمنى ، وبهذه الطريقة يمكنها السير على رجلها السليمة مستندة إليه ، فى حين تكون إحدى ذراعيه حرة تحمل سكين « الباتجا » .

عند النهر رأيا حيوانين من فرس النهر Hippos أمامهما . فاضطرا للسير مسافة 100 متر عكس التيار ، ثم خاضا النهر حيث غمرتهما المياه حتى الوسط . ووصلا بسلام إلى الضفة الأخرى ، ولكن (فينا) لم تتوقف عن السير برغم آلامها المبرحة . وأخيرًا بعد 18 ساعة من بداية محنتهما ، وصل الزوجان إلى (لوندولوزى) . كان (إيلفاس) لا يقوى على الكلام ، فيما انهارت (فينا) ، حيث نقلت على الفور إلى أحد

المستشفيات . وبقيت هناك حوالى ثلاثة أسابيع تحت العلاج من الصدمة والإجهاد والتمزقات الحادة . وعندما سمع أفراد قبيلة (إيلفاس) بما حدث له ، ارتفعت مكانته بينهم بمثابرته وشجاعته .



بتصرف عن المصدر :

Adapted from, Reader's Digest Magazine
An Article by Ann Haskell and patrick pacheco, Titled " Night of the Lioness". May 1982, New York, N.y., U.S.A.

الرجل الذى رفض أن يموت !

بقلم : [وينفريد بليفينز]

كان الجيش الأمريكى قديمًا يستعين بالمدنيين الأشداء ذوى الخبرات الخاصة ، للعمل فى المناطق أو للصيد ، نظير أجر شهرى ، ولفترات محددة ، دون الانخراط فى الجندية والخضوع للقانون العسكرى .

وفى شهر أغسطس 1823 ، اصطحب الميجور ـ رائد ـ (أندرو هنرى Major Andrew Henry) عشرة رجال من قلعة (فورت كيوا Fort Kiowa) بولاية (نيبراسكا Nebraska) وسط الغرب الأمريكى ، للعمل فى قلعة (فورت هنرى Fort Henry) فى أقصى الشمال الغربى الأمريكى بولاية (مونتانا Montana) ، حيث مرتفعات جبال (روكى Rocky) قرب الحدود مع كندا .

وكان على القافلة أن تجتاز أكثر من 1200 كيلومتر من الغابات والأحراش البرية الشاسعة نحو الشمال بمحاذاة



كان الجيش الأمريكى يستخدم المدنيين للصيد ودفع هجمات الهنود

نهـر (الميسـورى Missouri) ، ثم الاتجـاه غربًا نحو مرتفعات روكى .

قطعت القافلة نحو 400 كيلومـتر منذ بـدأت رحلتهـا ، حيث كانت تجتاز المناطق القاحلة لولاية (ساوث داكوتـا South Dakota) ، حينما حدث شىء مروع .

كـان (هيو جـلاس Hugh Glass) فى الأربعين مـن عمره ، شديد المراس ويتصف بالعناد ولا يحب الارتبـاط أو القيود ، شـأنه فى ذلك شأن سكان الجبال . ولذلك فضل أن يتقدم القافلـة وحـده ، باحثًـا فـى الأحـراش عن ثمـار التـوت البـرى Berry التى يحبهـا . وحينمـا التـف حول دغل كثيف وجد نفسه فجـأة أمـام أنثى دب رماديـة اللون ضخمة الحجم تحمى صغارها .

وفى لحظـة خاطفـة سددت إليـه ضربـة عنيفـة واحـدة بكفهـا الأماميـة ذات المخـالب ، أطـاحت بـه أرضًـا . ثـم عـادت الدبـة مـرة أخرى تضرب جسده اللين ، وتمـزق لحمه ، وتكسر عظامه . وعندما هرع رفاقه على صوت صـيحاته ، وجـدوه يمـزق جسد الدبـة الثـائرة بسـكينه ،



انقضت أنثى الدب الرمادية على (جلاس) مدافعة عن صغارها

ولكنها كانت تنقض عليه وتسحقه مع كل ضربة .

وأطلق البعض رصاص بنادقهم دفعة واحدة ، وأخيرًا سقطت على الأرض بلا حراك .

انتابت الدهشة الرجال حينما وجدوا (جلاس) مازال حيًا . فقد انسحقت ضلوعه ، وهناك ثقب مروع فى حلقه تتجمع حوله الفقاقيع كلما تنفس ، وامتلأ جسده بالجروح البالغة . وكان كل جرح من جروحه الخمسة عشر كافيًا لقتله .

ابتسم الرجال بحزن ، وبكثير من الإعجاب بمهارة الرجل وإرادته للحياة ، حتى ولو لبضع دقائق بعد أن تمزق تمامًا .

وقرر قائد القافلة إقامة معسكر فى نفس المكان للمبيت ، فحتى بعد دفنه لن يتبقى لديهم وقت كاف لمواصلة الرحيل فيما تبقى من النهار بأى حال من الأحوال .

فى الصباح كان (جلاس) مازال متعلقًا بالحياة بخيوط واهية . وأصبح الأمر كله محيرًا ومربكًا ، لقد كان شيئًا

مؤثرًا أن يعيش (جلاس) فترة برفقة زملائه ، ولكنهم لا يستطيعون حمله معهم . كما أن بقاءه حيًا أمر ينذر بالخطر ، فهنود المنطقة هاجموا قافلته منذ أيام قليلة وقتلوا رجلين . وقد يكون الهنود حولهم فى أى مكان ، وربما يظهرون فى أى وقت ، ومن الضرورى الخروج من منطقتهم بأسرع السبل .

وكان على الميجور (أندرو هنرى) أن يتخذ القرار الذى لابد منه . فليس من الحصافة على الإطلاق تعريض حياة عشرة رجال ، انتظارًا لموت رجل يحتضر بالفعل .

وكان الرجال قد بدءوا يستشعرون الخطر ، ويعتريهم الخوف والقلق تمامًا . ولكن الميجور (هنرى) لم يكن بالرجل الذى يتخلى عن شخص ما زال متعلقًا بالحياة ، فليس ذلك من الشهامة والمروءة والرجولة فى شىء . ولكنه توصل إلى حل وسط موفق ، حيث طلب تطوع رجلين للبقاء مع (جلاس) حتى موته ؛ فيتوليان دفنه ، ثم يلحقان بالقافلة .

على الفور أبدى (جيم بريدجر Jim Bridger) ـ 19سنة ـ رغبته فى البقاء ، ولكن لم يكن هناك رجل ثان . وهنا تكلم (جون فيتزجيرالد John Fitzgerald) ، قائلاً : هذا ليس إنصافًا . فأى رجل يتجاسر على التخلف فى المنطقة ، سوف يعرض فروة رأسه للسلخ . بل حتى يمكن أن يفوته موسم الصيد فى الخريف ، إذا لم يبلغ الحصن بالسرعة الكافية . وأضاف قائلاً : إن الأمر قد يصبح مغريًا لو أن هناك مقابلاً يعادل هذه المخاطرة .

أعلن الميجور (هنرى) أنه سيدفع 40 دولارًا لكل رجل يبقى ، وهنا أبدى (فيتزاجيرالد) استعداده للبقاء برفقة (بريدجر) . فأربعون دولارًا تعنى مرتب شهرين أو ثلاثة من العمل فى الحصن . ورحل الجميع تاركين زميليهما مع (جلاس) .

فى صباح اليوم التالى اكتشفا أن (جلاس) ما زال حيًا . وماذا لو تشبث (جلاس) بالحياة أسبوعين آخرين ؟ ماذا يمكن أن يفعلاه حيال ذلك الأمر ؟ وفى صباح اليوم الرابع لم يكن (بريدجر) متأكدًا إن كان (جلاس) حيًا

أو ميتًا ، لقد بدا وكأنه قد ذهب فى غيبوبة عميقة أقرب إلى الموت . وفى عصر ذلك اليوم أشار (فيتزجيرالد) إلى أنهما رفيقان غاية فى الطيبة ، لبقائهما طوال ذلك الوقت مع (جلاس) ، مخاطرين بحياتهما . وهى مخاطرة تستحق بالتأكيد أكثر من 40 دولارًا .

وفى الصباح التالى فتح (جلاس) عينيه ، وكانت تلمعان فى سكون ، أشبه بالحزن ولكن بلا معنى ، ولم يكن (بريدجر) متأكدًا أن الرجل يرى حقًا . وأخذ يتساءل عما يفعله (فيتزجيرالد) الذى بدأ يحزم متاعه قائلاً : « .. إننى راحل من هنا يا (بريدجر) لقد مكثنا أكثر من الوقت المخصص لنا . فلم يطلب الميجور (هنرى) أن ننتظر خمسة أيام فى مقابل 40 دولارًا فقط . ولعله يعتقد الآن أننا تركنا المكان منذ فترة . إن هذا غير معقول !

لم يرد (بريدجر) ، وإنما نظر إلى (جلاس) ، الذى كانت رأسه تتأرجح للأمام والخلف ، ربما من الهذيان . ولكن (بريدجر) كان يعتقد أن (جلاس) يمكنه أن يرى ، وربما أن يسمع أيضًا ، ثم أخذ يحدق نحوه بوجوم وهو غارق فى أفكاره .

بعد فترة انتبه (بريدجر) على صوت (فيتزجيرالد) القاطع الباتر : « .. إننى مستعد للرحيل ، هل تأتى أم ستبقى ؟! » . فأجابه (بريدجر) وهو ينتهد بجيشان : « لا أستطيع الرحيل ! » فقال (فيتزجيرالد) : « أنت تدرك تمامًا ماذا سوف يفعله الهنود بك . سيغرزون أعوادًا من شجر الصنوبر فى جسدك ويشعلونها لتحترق ببطء ! وربما يسلخونك حيًّا ! »

لم يتكلم (بريدجر) وظل صامتًا مكتئبًا ، بينما واصل (فيتزجيرالد) : « دعنا نرحل ! إنك لا يمكن أن تضحى بكل شىء . أو على الأقل ليس من أجل جثة ! »

نظر (بريدجر) إليه غير مصدق ، بينما حثه زميله : « .. أحضر بندقيته ، والسكين وكل شىء . إنك لا تترك متعلقات رجل بعد دفنه . ونحن قد دفنا (جلاس) العجوز ، تذكر ذلك جيدًا ! » . سار (بريدجر) بجانب حصانه فى شبه غيبوبة شارد الفكر . وبعد بضع كيلومترات عاد إلى صوابه ، فتملكته نوبة من الغضب العارم ، وربما إحساس بالغثيان والاشمئزاز ، وراح يصب لعناته على (فيتزجيرالد) ، الذى تجاهل الأمر تمامًا .

عندما أفاق (جلاس) من غيبوبته من بعد ظهر نفس اليوم ، كان يعرف ماذا حدث . وأخذ يتحدث لنفسه لأول مرة ، وهو يدرك كل معنى : « هؤلاء الحثالة ! تركونى وحيدًا لأموت . وأخذوا كل شىء أملكه ! » وقضى ما تبقى من اليوم يفكر فى تدبر أمره . وفى الصباح التالى كان عزمه قد تقرر على ضرورة تسوية حساباته مع الوغدين (بريدجر) و (فيتزجيرالد) .

وجاءه ذلك العزم كالحمى القوية ، فأمده بطاقة إضافية وقدرة أكبر على المقاومة . وكان فى تقدير (جلاس) أنه قطع حوالى 400 كيلومتر مع قافلة فريق الصيد ، منذ أن غادروا حصن (فورت كيوا) فى الجنوب . وهو أقرب إليه من حصن (فورت هنرى) نحو الشمال الغربى حيث توجه الفريق . فضلاً عن أن الطريق نحو الشمال يتجه صعودًا نحو المرتفعات ، أما الطريق إلى الجنوب فينحدر بسهولة . وأخذ فى التوجه نحو الجنوب .

وقبل أن ينتصف نهار اليوم الأول ، انهار (جلاس) من فرط الإرهاق . لقد بدأ الزحف ببطء فى محاذاة جدول صغير . ومع كل حركة كان أحد جراحه ينفتح وينزف .

وكاد أن يفقد وعيه مرتين من شدة الألم ، ومن فرط الضعف ، وشعر كأنه يحمل عبئًا ثقيلاً فوق ظهره .

كان لا يكاد يستطيع أن يقطع حوالى كيلومترين فى اليوم فقط ، وهكذا فعل فى اليوم الثانى .. وفى اليوم الثالث استطاع أن يتقدم بصورة أسرع قليلاً ، وقطع شوطًا أبعد . ولكن كان من الواضح أنه لن يستطيع أن يقطع المسافة كلها ، على هذا النحو .

بعد يومين آخرين ، صادف مجموعة من ذئاب البرارى تنهش عجلاً جاموسيًا بريًا . ومرت ساعات وهو يراقبها عن بعد حتى اكتفت الذئاب ، وبدأت فى الاسترخاء والابتعاد ، وكان نصف العجل الطازج قد استهلك . تحامل (جلاس) على عكاز من فرع شجرة ، وأطلق صرخة كبيرة ، فطرحت الذئاب اللحم وقفزت بعيدًا .

عندما وصل (جلاس) إلى ما تبقى من الفريسة ، جلس ببطء حتى لا ينفتح المزيد من الجروح ، وتسبب له المتاعب والآلام . واعتقد (جلاس) أن ما فقده من دماء وحيوية وطاقة يمكنه أن يستعيده هنا ، ولذلك التصق بالفريسة محدثًا نفسه : « سوف أحيا ، وسوف تكتب لى النجاة ! »

وعندما ترك الفريسة بعد عدة أيام ، كان فى إمكانه أن يسير على قدميه وهذا ما جعله يشعر باستعادة بعض من قوته وصلابته ، وأنه حتى يستطيع الآن أن يصطاد أرنبًا بريًا أو غُرَيْرًا Badger – وهو حيوان برى أقل حجمًا من الكلب – وذلك إذا كان سريعًا ومحظوظًا . تحسنت جروحه الآن ، ولو واصل السير ببطء وثبات ، فإنه يمكنه أن يقطع ستة عشر كيلومترًا فى اليوم . كانت خواطره موزعة بين شعوره بالبهجة لكونه حيًا ، وحافزه للانتقام ممن تركاه وحيدًا فى البرارى كى يموت .

وظل هذا الشعور المزدوج يدفعه كل يوم وطوال الطريق ، حتى وصل إلى مصب (نهر جراند Grand River) ، قرب الحدود الشمالية لولاية (ساوث داكوتا) ، والذى يصب فى (نهر الميسورى Missouri) . ثم انطلق فى الطريق جنوبًا نحو قلعة (فورت كيوا) . وهناك يمكنه أن يتزود بمتاع جديد وبندقية وسكين الصيد ، ليستدير نحو الشمال مرة أخرى متعقبًا الرجلين اللذين تخليا عنه .

وصل (جلاس) إلى قلعة (فورت كيوا) فى الأسبوع الثانى من شهر أكتوبر ، بعد مرور سبعة أسابيع منذ أن

هاجمته الدبة الرمادية ، قضى منها ستة أسابيع وحيدًا فى القفار . ثم نهض بعزم وهو أقرب إلى الموت ، واستطاع أن يقطع حوالى 400 كيلومتر زحفًا ومشيًا ، وليس له من وسيلة للصيد ، أو من سلاح للحماية فى أرض موحشة تمتلئ بالهنود والثعابين السامة وقطعان الذئاب والحيوانات البرية .

كل ذلك وغيره أدهش من بالحصن ، خاصة الرجل المسئول عن اختيار الرجال للعمل فى الحصون العسكرية النائية . بعد أيام انطلق (جلاس) باحثًا عن الشخصين اللذين تخليا عنه بعد أن تزود بالمعدات والسلاح . وحملته الرحلة فى مسارها عبر جبال مغطاة بالجليد ، فيما وراء نهر (الميسورى) ونهر (يلوستون Yellowstone) . حتى وصل إلى منطقة (بيج هورن Big Horn) الوعرة فى جبال روكى ، بعد أن قطع حوالى 1100 كيلومتر فى 12 أسبوعًا .

كانت فرقة الميجور (هنرى) تحتفل برأس السنة الجديدة داخل حصن (فورت هنرى) الشمالى فى ليلة

31 ديسمبر 1823 فى جو صاخب . وما إن دخل (جلاس) قاعة الاحتفال الواسعة ، حتى توقف الصخب تمامًا ، وران سكون مطبق ! حدق (جلاس) فى القاعة ثم توقف بصره على (بريدجر) ، الذى اقتفى أثره طوال هذه المسافة ، وقال له بهدوء : « إنه أنا (جلاس) يا (بريدجر) ! الشخص الذى تركته خلفك ليموت . وأخذت أمتعته التى كان يمكن أن تعينه على البقاء حيًا . وخلفته وحيدًا عاجزًا فى تلك البقاع الموحشة . لقد عدت الآن ، لأنى أقسمت أن أضعك تحت نفس الظروف » .

كانت نظرات (بريدجر) وملامحه أشبه برجل يتلقى حكم الإعدام وينفذ فى الحال ، ولم يستطع أن ينطق بكلمة ، بل بدا شابًا بائسًا يستحق الرثاء . وارتجف (جلاس) وهو يستأنف كلامه : « إننى أرى أنك تشعر الآن بالخجل والأسف . إننى أعتقد أنك كنت ترغب فى البقاء بجانبى ، لولا الضغوط التى مارسها (فيتزجيرالد) عليك . والآن ليس لك أن تخشانى ، فإننى أسامحك . إنك لست سوى شاب قليل الخبرة ! »

شعر (جلاس) بالراحة والهدوء ، بعد أن أطلق تلك

العبارات مرة واحدة . جلس وتناول كوبًا من الشراب ، ولكن خلال دقائق قليلة غاب عن الوعى من فرط الإرهاق ، وشعر (بريدجر) بغثيان شديد ، وإحساس مُرّ بالذنب والعار . لقد نجا لمجرد أنه فتى غِرّ عديم الخبرة والمعرفة ، أما كان له من الأفضل أن يموت من فوره !

مضت ستة أشهر أخرى قطع خلالها (جلاس) حوالى 1600 كيلومتر بحثًا عن (جون فيتزجيرالد) وأخيرًا عثر عليه فى حصن (فورت أتكنسون Fort Atkinson) ، بمنطقة (كاونسيل بلافز Council Bluffs) ، بولاية (إيوا Iowa) . وكان سعيدًا للعثور على (فيتزجيرالد) ، ولكنه اكتشف أنه أصبح الآن جنديًا فى الجيش الأمريكى ، وقتله يعنى تعرضه لعقوبة الإعدام .

واندفع (جلاس) فى ثورة عاصفة إلى مكتب الكابتن - نقيب - (رايلى Captain Riley) قائد الحامية طالبًا الإنصاف . استدعى الضابط (فيتزجيرالد) ليعرف الحقيقة ، ووقف فى المكتب مكللاً بالعار والاحتقار ، كما كان (جلاس) يريد . والغريب أن (جلاس) لم يشعر بكراهية

(فيتزجيرالد) فى تلك اللحظة كما كان يعتقد ، وأشار إليه متهمًا بإصبعه : « .. أنت تخليت عنى عندما كنت أحتضر ! لقد انتابك الرعب والفزع فهربت ! وأخذت كل ما يمكن أن يعيننى على الحياة . حسنًا ، أعتقد أنك حصلت الآن على شىء ما ، سوف تظل تفكر فيه ماتبقى لك من عمر ! »

صرف الضابط (فيتزجيرالد) ، ثم عرض على (جلاس) أن يعوضه عما فقده ، على أن يتخلى تمامًا عن مسألة الثأر ، وقبل (جلاس) هذا الحل .. زوده النقيب (رايلى) ببندقية وبعض الأدوات والمعدات والنقود ليبدأ حياة جديدة .

ظل (جلاس) لتسع سنوات لاحقة وحيدًا ، ينصب الفخاخ للصيد فى جنوب غرب منطقة (يلوستون) فى جبال روكى ، ويمارس الصيد فى الأحراش والغابات فى المنطقة ، إلى أن قتله الهنود عام 1833 ، وسلخوا فروة رأسه . ولكن اسمه وسيرته وشجاعته وثباته وشهامته



فمضى (جلاس) سنواته الأخيرة فى الصيد إلى أن قتله الهنود

أصبحت أسطورة يتناقلها سكان ولايات أواسط الغرب الأمريكى ، لما أظهره من نبل وفروسية ورجولة ، حتى فى مواجهة الموت !



بتصرف مختصر عن كتاب :

Adapted from a Book Titled : « Give your Heart to the Hawks » . By Winfred Blevins, published by Nash publishing corp., 680 Fifth Ave., New York, N.y. 10019, 1973, U.S.A.

انقضاض الحية ذات الأجراس ..

بقلم : [هنرى هارت]

تتميز المنطقة الغربية من جنوب ولاية (فلوريدا Florida) الأمريكية بالغابات والمستنقعات والأراضى السبخة ، والتى تعد مرتعًا وموطنًا للتماسيح والأفاعى السامة والحيوانات البرية والطيور الغريبة . ومع ذلك فهذه المنطقة بالذات هى التى اختارها (روبرت ديورانس Robert Daurenc) ـ 53 سنة ـ للإقامة وتنشئة أولاده على حياة الطبيعة الرائعة والاعتماد على النفس .

وهو رجل قوى الجسم متفتح الذهن ، عمل مهندسًا للبترول طوال عشرات السنين ، وطاف (المكسيك) و (فنزويلا) و(الشرق الأوسط) . وعندما قرر أن يبدأ مشروعه الخاص ، اشترى مزرعة فى هذه المنطقة ، وتفرغ لتربية ولديه بالقرب منها . معتقدًا تمامًا أن الأساس الريفى للنشأة ، أجدى بكثير منه داخل المدن ، من أجل مستقبل أكثر وعيًا بالوجود والطبيعة ومسار الحياة .

بعد أن تناولت الأسرة طعام الغداء ، فى يوم أحد من أيام شهر فبراير 1985 ، استأذن الابن الأصغر (مارك Marck) ـ 13 سنة ـ فى القيام بجولة وسط الأحراش والأشجار القريبة من المنزل . واصطحب (مارك) معه كلبه (بودى Bodi) ، وبندقية الرش الخفيفة لصيد الطيور الصغيرة . بعد جولة حافلة بالدهشة والسعادة ، توجه (مارك) مع كلبه فى طريق العودة نحو المنزل .

وفى أثناء ذلك لمح (مارك) عصفورًا ملونًا لم يشاهد فصيلته من قبل ، فأخذ يتطلع إلى أعلى ، حينما زَلَّت قدمه فى حفرة صغيرة مغطاة بأوراق الشجر الجافة . ولكنه شعر بأن شيئًا ما يتحرك تحت قدمه اليمنى ، وقبل أن يجذبها بسرعة أحس بألم صاعق فى قدمه ، وحرارة فائرة تسرى فى ساقه .

كانت البندقية قد سقطت منه عندما فقد توازنه فى الحفرة ، وعندما رفع قدمه اليمنى أخيرًا ، كان هناك رأس كبير لحية من ذوات الأجراس ملتصقة بحذائه . وكان فكاها القويَّان مطبقين بإحكام على مقدم الحذاء ، وقد اخترقت الأنياب الحادة الجلد وقدم الصبى معًا .



وانقضت الحية وأنشبت نابيها السامين فى مقدمة الحذاء

أخذ (مارك) ينظر إلى الحية وهى تمضع الحذاء ببطء ، بينما انقض (بودى) يعض جسد الحية ، ويجذبها من ذيلها ، ولما لم تفلت قدم صاحبه ، بدأ فى نهش رأس الأفعى وتمزيقه . حينئذ شعر (مارك) بانحسار ضغط الفكين على قدمه ، وانسحبت الحية داخل الأحراش .

تمالك (مارك) زمام نفسه حتى لا يصاب بالذعر ، فقد علمه والده أن سم الأفاعى يمكن أن يصل إلى القلب بسرعة ، كلما ازدادت الحركة ، وبالتالى سرعة جريان الدم . كان يبعد عن المنزل بحوالى 160 مترًا ، وهى مسافة لا تسمح بوصول صوته لطلب النجدة بحيث يكون أعلى من أصوات الغابة . وكان عليه أن يقطع تلك المسافة سيرًا على الأقدام وببطء .

ولكن بعد قليل أحس (مارك) بضعف شديد ، وأصبح يرى الأشياء مغلفة بالضباب ، وهو على وشك الإغماء . ويبدو أن الحية أفرغت كمية كبيرة من السم فى وريد فى قدمه ، وبدأ السم يسرى مع الدماء فى جسده . وسم الأفاعى نوعان ، أحدهما يشل الجهاز العصبى كله تمامًا ،

مثل المامبا Mamba الإفريقية والكوبرا Copra المصرية . والآخر يحطم مكونات وجزيئات الدم الكيميائية ، وكان سم الحية ذات الأجراس Rattle-snake من النوع الأخير .

وهذه الحية تعرف بذلك الاسم لوجود حلقات فى ذيلها ـ بواقع حلقة عن كل سنة فى عمرها ـ تصدر صوتًا مميزًا عند حركته . وبدأ السم يؤثر فى قلبه وجهازه التنفسى بسرعة ، وكان (مارك) فى حاجة شديدة إلى معجزة ، ليتمكن من قطع المسافة المتبقية فى أرض وعرة حتى مدخل المنزل .

كان الأب يعمل على إصلاح سياج الساحة الأمامية للمنزل ، حينما هرع إليه ابنه الأكبر (بيرت Burt)ـ 16 سنة ـ وهو يصرخ « .. مارك لدغته أفعى ! » فأسرع الأب إلى داخل المنزل ليجد (مارك) على الأرض فاقد الوعى ، ووالدته (ديبورا Deborah) إلى جواره . لم يكن (مارك) قد قال شيئًا ، سوى أنه فتح الباب ، وقال فى هدوء : «لقد لدغتنى حية ذات أجراس » ، ثم سقط فاقد الوعى وهو يرتجف .

خلعت والدته حذاء قدمه اليمنى ، وكشفت عن تورم ضارب إلى الحمرة ، وبدأت تفوح من الصبى رائحة عطرة مميزة ، كانت الأسرة تعرفها تمامًا عندما كانت مثل هذه الحيات تلدغ حيواناتهم .

لم يكن بالمنزل المصل المضاد ولا تليفون ، وكان على الأبوين أن يصطحبا ابنهما لإسعافه فى أسرع وقت . وانطلقا بسيارتهما « البيك ـ آب » عبر طريق غير ممهد لبضعة كيلومترات حتى وصلا إلى الطريق السريع رقم 60 ، ثم انحرفا إلى اليسار لأقرب عيادة طبية فى (براندون Brandon) ، على بعد 21 كيلومترًا أخرى .

قاد (روبرت) سيارته بأقصى سرعة على الطريق السريع ، متجاوزًا كل السيارات أمامه فى سباق مع الموت ، بينما كانت الأم تحتضن الجسد الرخو للصبى ، وقد بدأ تنفسه يخفت تدريجيًا ، ولم يكن فى وسعها أن تفعل شيئًا سوى أن تبتهل إلى الله وتصلى بقلب وجل ، وقبل حوالى كيلومترين من (براندون) شهقت السيارة ثم توقف محركها تمامًا ، بعد أن تجاوزت الحرارة الحدود القصوى .

أخذ (روبرت) يلوح للسيارات المارة دون أن يعبأ به أحد ، فعاد إلى « البيك ـ آب » وحمل (مارك) بين ذراعيه ووقف فى منتصف الطريق . ضغطت إحدى السيارات فراملها بعنف ، وكان سائقها مزارعًا من (هاييتى Haiti) لا يتكلم الإنجليزية . وانطلقت السيارة بسرعة نحو العيادة الطبية ، طبقًا لتوجيهات (روبرت) وإشاراته اليدوية .

حاول الطبيب المقيم والممرضات المحافظة على حياة الصبى واستقرار حالته . فحقنوه بالمصل المضاد لسموم الأفاعى Antivenin ، وأجروا تنفسًا صناعيًا ، ودفعوا إلى جسده بكمية من السوائل . وكان (مارك) يحتاج إلى مساعدات طبية تفوق إمكانياتهم . فأرسلوه فى سيارة إسعاف مجهزة إلى أقرب مستشفى ، فى مدينة (تامبا Tampa) على بعد ١٨ كيلومترًا .

كان الدكتور (مايكل كامبيل Michel Campbell) فى منزله المطل على الخليج يُعد قاربه ، عندما تلقى استدعاء من قسم الطوارئ فى المستشفى ، فقاد سيارته بسرعة ووقف ينتظر وصول سيارة الإسعاف ، ويقول (كامبيل) :

«كان تنفس الصبى قد توقف تمامًا ، واعتبر ميتًا من الناحية العملية ! » ، ومع ذلك استمر أربعة أطباء وعدد كبير من الممرضات فى علاج (مارك) خلال الساعات الثمانى التالية .

كانت الأوعية الدموية والقلب على حافة الانهيار ، وتوقفت كليتاه عن العمل ، مع قصور شديد فى جهازه التنفسى ، ونزيف داخلى لايتوقف بعد أن أوقف السم قدرة الدم على التخثر .

ويضيف الدكتور (كامبيل) : « كان قلب الصبى هو الشىء الوحيد الذى يعمل جيدًا طوال الساعات الأولى ، ولكنه كان يتعرض لضغط هائل » . وسيطر السم على معظم الأعضاء الحيوية ، ولكنه لم يتلف الأنسجة أو الخلايا ، بعد أن واصل الأطباء حقنه بالمصل المضاد للسموم . ومن الناحية الطبية لم يكن هناك أمل كبير فى إنقاذ الصبى .

ويقول الدكتور (كامبيل) : « .. إن بوادر التحسن تظهر عادة خلال الساعتين الأوليين ، أو نخسر المعركة كما فى الحالات المماثلة . ولكن (مارك) ظل لثمانى ساعات بنفس درجة الخطورة التى وصل بها إلى المستشفى ! »

فى صباح اليوم التالى الاثنين ، استقرت حالة (مارك) ، وتحسن ضغط دمه قليلاً ، وظهرت دلائل على نشاط كليتيه ، ولكن الصبى ظل فى غيبوبة . وكان مما يقلق الأبوين أن يشاهدا ابنهما الصغير وهو ينزف دماءه باستمرار من أذنيه وفمه وعينيه ، كما أنه كان متورمًا بدرجة مرعبة ، حيث تضخم حجم يديه إلى ثلاثة أضعاف حجمهما العادى . وانتفخت أوداجه وبدا كأن لا عنق له ، وكانت عيناه منتفختين فلم يظهر منهما غير أطراف الأهداب ، مع رشح دموى من شفتيه .

ولكن الأطباء واصلوا تعويض الدم المفقود ، بوحدات من الدماء المحفوظة . وفى يوم الثلاثاء ، انتاب الأطباء القلق من إمكان توقف الدورة الدموية عن قدمه اليمنى بسبب

التورم الكبير ، مما قد يؤدى إلى بتر الجزء الأسفل منها . وعمد الأطباء إلى إجراء شقوق أو حزوزات طولية فى الرجل اليمنى ، لفصد الدم الزائد ، وحتى تتمكن الأنسجة المتورمة من التمدّد ، مما يؤدى بالتالى إلى تخفيف الضغط الشديد على الأوعية الدموية .

وواصلت والدته (ديبورا) ـ التى لم تترك المستشفى طوال الوقت ـ الصلاة بحرارة للإبقاء على حياة ابنها .

فى صباح الأربعاء استرد (مارك) وعيه وبدأ فى التحسن ، وفى يوم الخميس فصل عن جهاز التنفس الصناعى وبدأ يتحدث مع والدته . أخذ يقص عليها ببراءة ما حدث له فى الغابة ، وكيف زلّ بقدمه على الحية فى الحفرة . وعندما حضر والده ذلك الصباح ، اختلطت الدموع بالضحكات وهو يعتذر له عن إهماله ، وألا يكون غاضبًا منه .

وكان هذا بالنسبة للأطباء المتواجدين ، دليلا على أن مخ الصبى وجهازه العصبى لم يصابا بأى تلف . وانسحب

الأطباء والممرضات ، تاركين الأسرة الصغيرة معًا فى الغرفة . وأخذ الجميع يصلون معًا صلاة الشكر للّه فى هدوء ، على ما منحهم من رعاية وفضل .

بعد ذلك أخذ (مارك) يتحدث إلى والده بهدوء ورصانة ، عن تجربته فى الغابة وأنه عندما أدرك أنه لن يستطيع قطع المسافة المتبقية إلى المنزل ، وبدأ يفقد وعيه ، « ظهر » له شخص فى ملابس بيضاء حمله بين يديه وصعد به فى درجات المنزل ثم تركه واختفى ! وسأل أبوه فى براءة إن كان يعرف هذا الشخص فى الجوار من حولهم ؟ وقدر الخبراء أن طول الأفعى يتجاوز المترين على الأقل ، طبقًا للمسافة بين علامتى النابين العلويين اللذين يفرغان السم من فك الأفعى ، وكان حوالى أربعة سنتيمترات بعد انخفاض التورم .

ويبدو أن (مارك) قد وقع بقدمه اليمنى على وسط جسد الأفعى فى الحفرة ، فاستدارت هذه وغرست أنيابها فى قدمه . وعادة تنسحب الأفعى بعد أى لدغة دفاعية ، ولكن

من الواضح أن أنياب الحية علقت بجلد الحذاء ، فأخذت تنخر الحذاء وتمضغه فى جهد منها للتخلص منه . مما أدى إلى إفراغ كمية غير عادية من السم فى قدم الصبى .

فى أثناء فترة النقاهة فى المنزل ، ناقش الأب ابنه طويلا حول أوصاف ذلك الرجل الغريب الذى « ظهر » فجأة فى الغابة فى اللحظة المناسبة . ولماذا لم يطرق الباب طالما حمل الصبى كل هذه المسافة وصعد به فى الدرجات ، ثم تركه واختفى ؟ ولم يكن هناك بالجوار أحد يعرفانه بهذه الأوصاف ، كما أنه لم « يظهر » أبدًا بعد ذلك . ومهما يكن من أمر فقد استطاع (مارك) - بطريقة ما - قطع المسافة إلى المنزل وصعد فى الدرجات وفتح الباب إلى داخل المنزل . وهو أمر لا يمكن التأكد منه وإثباته حقيقة - خاصة ظهور الرجل الغريب - إذ إن الأمر كله أقرب إلى المستحيل منه إلى الواقع !

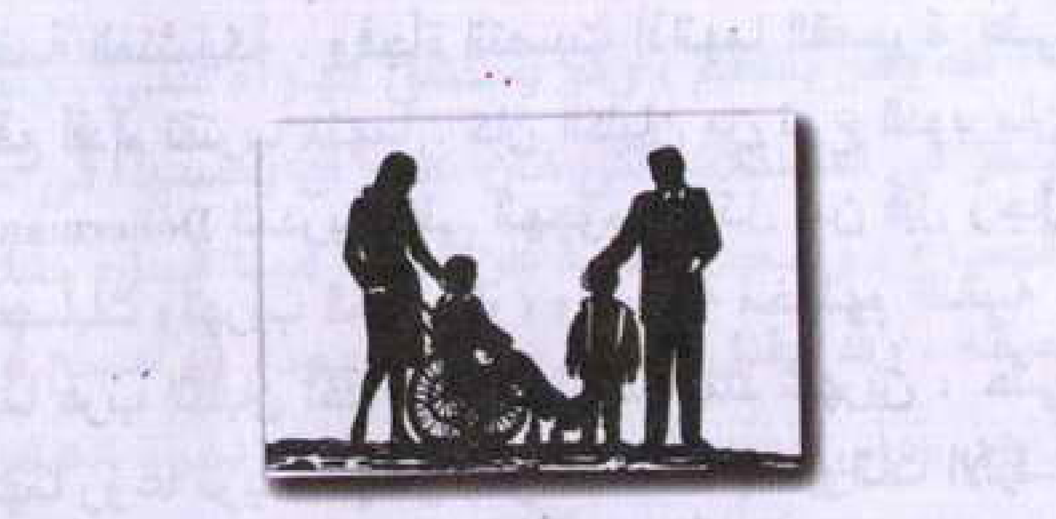
ويقول الدكتور (كامبيل) : « .. من الناحية الطبية ، لا أعرف كيف استطاع الصبى أن يتجاوز محنته . وأعتقد أن

سبب نجاته يعود إلى تلك الطاقة الداخلية وإرادة الحياة ، التى لا تتوفر إلا لأشخاص شديدى العزم والثبات ، وامتلكوا زمام أنفسهم فلا يستسلمون للهلع فى المواقف الحرجة . وكان من الممكن أن يموت الفتى من الصدمة العصبية ، دون أن يموت بسم الأفعى . أما بقاؤه حيًا فيرجع إلى الكثير من العمل الشاق والعناية والصلاة » .

تعرض (مارك) بعد ذلك إلى عدة عمليات تطعيم للجلد ، وعناية طبية مركزة لإعادة بناء الأنسجة فى رجله اليمنى ، مع استبعاد أى عجز دائم . ويتلهف (مارك) للعودة إلى غابته وكلبه (بودى) للقيام بجولات أخرى فى الأماكن التى يحبها ، مع أخذ الاحتياطات اللازمة .

أما الوالدان فقد تأكدا أن عناية اللّه ترعاهما ، وأن أسرتهما تتقدم فى الحياة بمحبة من عند اللّه وبركته الخاصة جدًا . وحاولا عبثًا البحث عن المزارع الشهم من أبناء (هاييتى) لتقديم شكرهم وامتنانهم ، ولكنه كان قد

غادر المكان دون أن يعرف أحد حتى اسمه . وكذلك طاقم الأطباء والممرضات فى المستشفى ، الذين حاولوا بإخلاص إنقاذ حياة (مارك) .



بتصرف عن المصدر :

Adapted from : « Sports Illustrated Magazine », july, 1987, by Henry Hurt. published by Time Inc., Time and life Building, Rockefeller Centre, New York, N.y., 10020, U.S.A.

حصار الكلاب الشرسة !

بقلم : [آلان رانكين]

قبع الكلبان الشرسان وسط الحشائش الكثيفة داخل الغابة المتشابكة . وفجأة انتصبت آذانهما القصيرة على وقع أقدام تقترب منهما . كان الكلبان من نوع الدوبرمان Dobermann المدربة على الهجوم والقتل من قبل رجال العصابات وتهريب المخدرات ، ولحراسة مخابئهم النائية . فلما هرب الكلبان أخذا يجوبان المنطقة منذ شهرين ، حتى إنهما روعا الريف الهادئ بحوادث الفتك بالحيوانات الأليفة ليسدا جوعهما .

وثب الكلبان من مربضهما ، وأخذا يتشممان الهواء ، وتدلى فكاهما فى سكون ، استعدادًا للانقضاض على أى شىء يتحرك .

فى هذا الصباح من يوم 19 أكتوبر 1988 ، قرر (جونى فورد Johnny Ford) عمدة مدينة (توسكيجى Tuskegee) بولاية (آلاباما الأمريكية Alabama) ، أن يمارس رياضة

الجرى التى يحبها قبل ذهابه إلى مكتبه . ارتدى سترة رياضية زرقاء فضفاضة ، وفى هذه المرة اتجه ناحية الطريق الصاعد إلى التل المرتفع فوق الجانب الشرقى لبحيرة (توسكيجى) ، وهو طريق يخترق غابة كثيفة من كل جانب .

أخذ يعدو بانتظام ، وهو يستنشق الهواء النقى ، وأخذ يفكر فى المشكلات التى كان عليه أن يحسمها فى هذا الصباح . وشعر بالرضا عن نفسه فيما أنجزه خلال حياته ، وقد حقق الكثير مما كان يوده ، وأصبح أول زنجى يتولى منصب العمودية فى مدينة مزدهرة ، عامرة بالسكان ، ومقرًا لجامعة (توسكيجى) الكبيرة ، ولم يتعد عمره السادسة والأربعين .

والحق أن العم (تشارلى Charly) والعمة (سالى Sally) كان لهما الفضل الكبير فيما هو فيه بعد وفاة والديه صغيرًا . إذ ربياه وعلماه وشجعاه على شق طريقه فى الحياة ، إلى أن تخرج فى الجامعة برغم قلة المال ، ولكنهما فيما عدا ذلك لم يكونا فقيرين أبدًا .

وصل (فورد) إلى قمة التل ، وهو يلهث من الجهد ويتنفس بصعوبة . وفى تلك اللحظة اندفع الكلبان من بين الشجيرات على الجانب الأيمن أمامه مباشرة لمهاجمته . وفى لمحة خاطفة رأى (فورد) جسمين قويين ، أحدهما بنى اللون والآخر رمادى ، يعدوان نحوه وهما يزمجران . ثم قفزا نحوه وكادا يطرحانه أرضًا ، لكنه تنحى جانبًا متفاديًا الهجمة العنيفة . ووثب الكلبان مرة أخرى ، فلقيهما (فورد) مباعدًا بين قدميه حتى يحافظ على توازنه - وهى وقفة تعلمها من تمارين (الكاراتيه Karate) - ولطم رأس الكلب البنى بقبضته وهو يثب عليه ، ثم ركل الآخر بحذائه وطرحه أرضًا .

ولكن الكلبين هاجما مرارًا ، وهما يحاولان الوصول إلى عنق (فورد) . ولم تكن لضرباته أى تأثير أو ردع برغم شدتها ، فمثل هذه الكلاب المدربة يمكنها أن تقاتل لساعات دون إحساس ، حتى ولو تشوهت تمامًا . فكلما وجه (فورد) ضربة إلى أحدهما ، وثب الآخر وأنشب فيه أنيابه ، حتى تمزق بنطلونه وأخذ الدم يسيل على ساقه .

وفجأة بدأ الكلبان يتقاتلان مع بعضهما فى وحشية . فانتهز (فورد) الفرصة ، وأسرع إلى أقرب شجرة على مسافة ستة أمتار . ولكنه لم يكن سريعًا بما فيه الكفاية ، إذ أطبق كلب منهما على عقب قدمه . فركله وقفز يائسًا إلى شجرة صنوبر جافة ، وأخذ يتسلقها بسرعة . ولكن الشجرة انهارت وسقط هو داخل شجرة صنوبر جانبية صغيرة ، أخذت تميل ببطء نحو الكلبين ، وأصبح الأمر أشبه بمشهد مرعب فى فيلم واقعى . وعندما تابعت الشجرة انحناءها حتى أصبحت قدما (فورد) على مسافة مترين فقط من الأرض ، وثب الكلب البنى وأنشب أنيابه بعمق فى ساقه اليمنى ، فصرخ (فورد) من الألم ، وبدأت الدماء تتدفق من الجروح العميقة .

عندئذ أدرك (فورد) أن هذين الوحشين يريدان قتله . وملأه هذا الإدراك بالغضب الشديد ، فقرر أن يقاتل بشراسة من أجل حياته . وقفز إلى الأرض وهو يزمجر مثل الكلبين ، وأخذ يضربهما ويركلهما بشدة وعنف ، وهو يصرخ فيهما : « إذا أردتما أن تقتلانى ، فسوف أموت وأنا أقاتل » .

لم يتمكن الكلبان من الوثوب بسبب الأحراش الكثيفة من حولهما . ثم أخذا يتعاركان مجددًا ، ربما لشدة استيائهما . وفى هذه المرة تمكن (فورد) من القفز إلى شجرة صنوبر كبيرة ، وأخذ يتسلق جذعها الضخم . ولكن الكلب الرمادى وثب من الخلف وأطبق على قدمه اليمنى وتعلق بها ، حتى إنه أخذ يتأرجح محاولاً تمزيقها ، وكان الألم شديدًا .

وحاول (فورد) التخلص من الكلب ، وأخيرًا - وبفضل الجورب الصوفى الثقيل - أفلت الوحش وسقط على الأرض . وتمكن (فورد) من الوصول إلى غصن كبير يعلو بمسافة كافية عن الأرض . ولكن الكلبين تسلقا بجهد شجيرة جانبية صغيرة ، وأخذا يهاجمانه من هناك مرارًا ، فانتقل (فورد) إلى فرع أعلى بعيدًا عن متناول الكلبين .

هدأت المطاردة قليلاً ، ولكن الكلبين قبعا تحت الشجرة مباشرة فى نوبة حراسة ساكنة ، وأحس (فورد) بهبوط ودوار نتيجة النزف من جروح ساقيه ، وكان بنطلونه مشربًا بالدم ففكر بهدوء : « ليس من الممكن الجلوس



بدأ الكلبان يتقاتلان فى وحشية ، فانتهز (فورد) الفرصة وأسرع لأقرب شجرة

هنا حتى أغيب عن الوعى وأسقط ، يجب أن أفعل شيئًا .. » واصل التسلق بجهد إلى قمة شجرة الصنوبر ، وأخذ يصرخ بنداء النجدة .

فى البداية توجه بصرخاته عكس اتجاه الريح ، وفى اتجاه منزله وزوجته (تريسى Tracy) على بعد كيلومتر ونصف الكيلومتر . ثم تحول بندائه فى (اتجاه الريح Down Wind) ، نحو حى (ماربيل Marble) الذى يبعد 400 متر . ولكن تملكه فجأة خوف شديد « ماذا لو هاجم الكلبان أحدهم وهو يحاول إنقاذى » ؟

نظر إلى ساعته وكانت تشير إلى التاسعة وعشر دقائق ، « ما الذى يمكن أن يحدث لو بقيت هنا حتى الثالثة ؟ موعد انتهاء المدرسة ، فيأتى الأولاد هنا للعب ؟

وكيف يمكن أن يكون الأمر لو خرجت زوجتى والأولاد للبحث عنى ، لو علموا أننى لم أصل إلى المكتب ؟!

صحيح أن ابنى (جلبرت Gilbert) ـ 17 سنة ـ و (كريستوفر Christopher) ـ 12 سنة ـ فتيان شجاعان ، ولكنهما لم يتمرسا بعد على مواجهة الشدائد . أما ابنته

الصغيرة (تيفانى Tiffany) فلم تتجاوز السادسة من عمرها » .

وأخذ (فورد) يرتجف بشدة من رعب التخيلات التى اجتاحت ذهنه وهو يقلب الأمر . وقرر فى النهاية أن يتابع الصراخ طلبًا للنجدة ، وأن يواصل قتال الكلبين حتى يرهقهما تمامًا .

هبط ببطء نحو جذع الشجرة ، واقتطع فرعًا غليظًا لمهاجمة الكلبين ، ثم انحنى إلى أسفل من فوق فرع قوى متدن ، وأخذ يضرب الكلبين كلما حاولا الوثوب إليه .

فى الساعة العاشرة والربع صباحًا ، وصل (ناتان لونج Nathan Long) ـ وهو مزارع فى التاسعة والستين من عمره ـ إلى منزل السيدة (جودى كرايتون) فى ضاحية ماربيل ، لإعادة خرطوم مياه سبق أن استعاره منها . ووقفا يتحدثان قليلاً ، حينما سمع (لونج) صوت الاستغاثة البعيد الذى حملته الرياح من ناحية الغابة فى التل المرتفع . وقال فى قلق : « هناك شخص ما

فى ورطة ! » ثم اندفع إلى سيارته وقادها فى السهل الوعر ، صاعدًا بها التل نحو الغابة .

لقد انقضى نحو ساعتين ونصف الساعة و (فورد) ما زال يصارع آسرَيْه ، وعلى الرغم من أنه أشبعهما ضربًا شديدًا على رأسيهما وأكتافهما ، فإنه لم يبدُ على الكلبين أى انزعاج أو إرهاق . كانا واقفين وأنظارهما مسمرة عليه بوحشية واهتياج عنيف ، مستعدان لتمزيقه لو هبط للأرض ، أو ربما مهاجمة أى شخص آخر يصادفهما فى هذه اللحظة الجنونية .

وفجأة رأى (فورد) سيارة تتجه نحوه ، وتوقفت على بعد 70 مترًا منه ، وخرج منها رجل أخذ يلوح بيديه . صرخ (فورد) : « .. كلاب متوحشة ! عد إلى سيارتك . هل معك سلاح ؟ » . أجاب الرجل وهو يتراجع نحو السيارة : « نعم .. لدى مسدس » . وعلى الفور شن (فورد) هجومًا خاطفًا على الكلبين ، ثم قفز إلى الأرض . فبدأ الكلبان يثبان عليه ويعضانه ، بينما انهال هو على رأسيهما ضربًا ولذعًا وتشويهًا .

تحركت السيارة بتثاقل واقتربت أكثر ، ثم تناول (لونج) مسدسه واستند إلى النافذة وأطلق عدة رصاصات . فخر الكلب البنى صريعًا على الأرض وهو يعوى ، وجرح الرمادى الذى هم بالهرب داخل الأشجار . وضغط (فورد) فكيه وهو يغمغم : « لامفر ..لن تهرب ! » كان يخشى أن يهاجم الكلب الجريح شخصًا آخر يقابله . فأخذ المسدس من (لونج) ، وأخذ يتعقب الكلب داخل الشجيرات الصغيرة ، وصرعه بطلقة كانت الأخيرة .

استند (فورد) إلى جذع شجرة وهو يتنفس بعمق ، وقال لمنقذه (لونج) : « لن أستطيع أن أشكرك بما يفيك حقك . إننى محظوظ بالبقاء حيًا ! » . لكنه كان يعلم أن بقاءه كان أبعد من الحظ ، وربما أذعن شخص غيره للخوف والذعر ، مما قد يعوقه عن التفكير السليم والمقاومة والتشبث بالحياة والدفاع عن النفس .

أخذ يسترجع اللحظات المضيئة فى حياته والتى كونت لديه القوة الدافعة للعزم والإصرار والمثابرة والصبر . لقد كان عمه (تشارلى) محقًا عندما كان يؤكد له : « عليك أن

تبذل المزيد من الجهد ، خاصة إذا وصلت إلى مرحلة الإنهاك الكامل . وستجد نفسك تحقق إنجازًا أفضل بكثير مما اعتقدت أن فى إمكانك أن تفعله » .

تم علاج (فورد) من جروحه البالغة ، وأرسل الكلبان إلى معمل بيطرى ، حيث تبين خلوهما من (مرض الكلب Hydro phobia) وعاد (فورد) إلى أسرته ومكتبه ومواطنيه ، ورياضته المحببة ، وفى نفس الطريق الصاعد إلى الغابة .



بتصرف عن المصدر :

Adapted from « International Wildlife Magazine ». March/April 1989. An Article by Allan Ranken, titled « Prisoner of two Dobermanns ! ». published by National Wildlife Federation, Vienna,. Virginia, U.S.A.

النمر المتربص فى المحمية الألمانية ..

بقلم : [ديفيد تيلور]

فى بدء حياتى العملية ، كطبيب بيطرى فى حديقة حيوان (رود سايد Road side) فى أقصى شمال شرق اسكتلندا ، كنت كثيرًا ما أنتدب للعمل فى حدائق الحيوان الأوروبية لفترات . أو لإجراء بعض الأبحاث العلمية على الحيوانات فى الأسر ، أو فى المحميات الطبيعية Reserve-park .

وفى إحدى المرات قادتنى جولاتى إلى محمية (شلوس هولته شتوكينبروك Schloss Holte Stukenbrock) . وهى محمية ألمانية طبيعية ، تضم منطقة واسعة من غابات الصنوبر ، وتقع فى شمال غرب ألمانيا ، وجنوب مدينة (بيليفيلد Bielefeld) قرب الحدود الهولندية .

هذه الغابة النموذجية ، سُورت بالكامل لحماية الأسود والنمور والفيلة والأيائل والنعام Ostrich والحيوانات البرية من مختلف أنحاء العالم . وشقت فيها الطرق وأحواض

المياه ، وقسمت من الداخل بأسوار عالية لفصل الحيوانات الضارية عن غيرها من الحيوانات . ويجرى عدّ الضوارى قبل دخولها إلى مهاجعها كل مساء ، ثم غلق البوابات الحديدية بطريقة إليكترونية .

وصلت المحمية الألمانية بعد غروب الشمس فى يوم من أيام الخريف ، وقد غطى الضباب الرمادى الأشجار من حولى بستارة رقيقة ، بينما التمع الطريق المؤدى إلى مبانى الإدارة والاستراحة وقاعة الطعام وغيرها وسط الغابة بالرذاذ الخفيف . ولم أكن أستطيع أن أميز ـ فى هذا الجو القاتم ـ الأشباح الصامتة السوداء للحيوانات المختلفة على مقربة منى داخل الغابة .

ودعانى الدكتور (فريتز وولتر Fritz Walter) المدير المقيم للمحمية إلى مكتبه لتناول الشاى الساخن . تبادلنا الحديث لفترة طويلة ، وعندما خرجنا كان الظلام الدامس قد خيم على المنطقة ، وأصبح الضباب ستارًا كثيفًا يحجب الرؤية . وأخذنا نجول قرب مقره حينما قال الدكتور (وولتر) : « .. لدينا هنا أروع أماكن لإيواء النمور فى ألمانيا كلها . وهى الآن خلف الأسوار الخاصة بها ، فلنلق عليها نظرة ! »

اجتزنا بوابة خشبية فى طريقنا نحو مقر الوحوش الضارية . ولم يستطع ضوء الكشاف الكهربائى أن يخترق الضباب الكثيف ، إلا لأمتار قليلة . وسألته برفق : « .. ولكن أى الحيوانات يسمح لها بالخروج ليلاً ؟ » فأجاب بلا اكتراث : « .. إنها فقط الحيوانات التى لاضرر منها ، مثل الجاموس الإفريقى البرى Cape Buffalo ، والحُمر الوحشية Zebra ، وثيران الياك التبتية Yak ذات الشعر الطويل ، والأيائل والنعام وغيرها » .

تابعنا التقدم سيرًا على الأقدام ونحن نتبادل الحديث ، ومرت بجانبنا بعض التياتل الإفريقية ، حتى إننى استطعت أن أشم رائحتها . وقال (وولتر) إنه بعد مسافة قصيرة سوف نبلغ مدخل النمور . ولكنه اتصل بالحارس (هانز Heinz) بجهاز اللاسلكى الذى يحمله ، ليتأكد أولا أن كل النمور قد أُدخلت المهاجع الخاصة بها ، وداخل المنطقة المسيَّجة ، وأكد له (هاينز) عبر الجهاز أن كل النمور قد أدخلت أماكنها لإطعامها وجبة المساء .

عندئذ أخرج الدكتور (وولتر) من جيبه « ريموت كونترول »

للتحكم عن بعد فى البوابة الحديدية المؤدية إلى مقر النمور . وضغط على زر خاص ، فانفتحت البوابة آليًا ، ثم أغلقها بنفس الطريقة بعد أن عبرناها . وتابعنا السير إلى الداخل ، حتى تناهت إلينا رائحة الضوارى . وقال (وولتر) : « بعد حوالى مائة متر سنرى الضوء الساطع المنبعث من المهاجع الدافئة للنمور ، حيث زودت مؤخرًا بمصابيح قوية » .

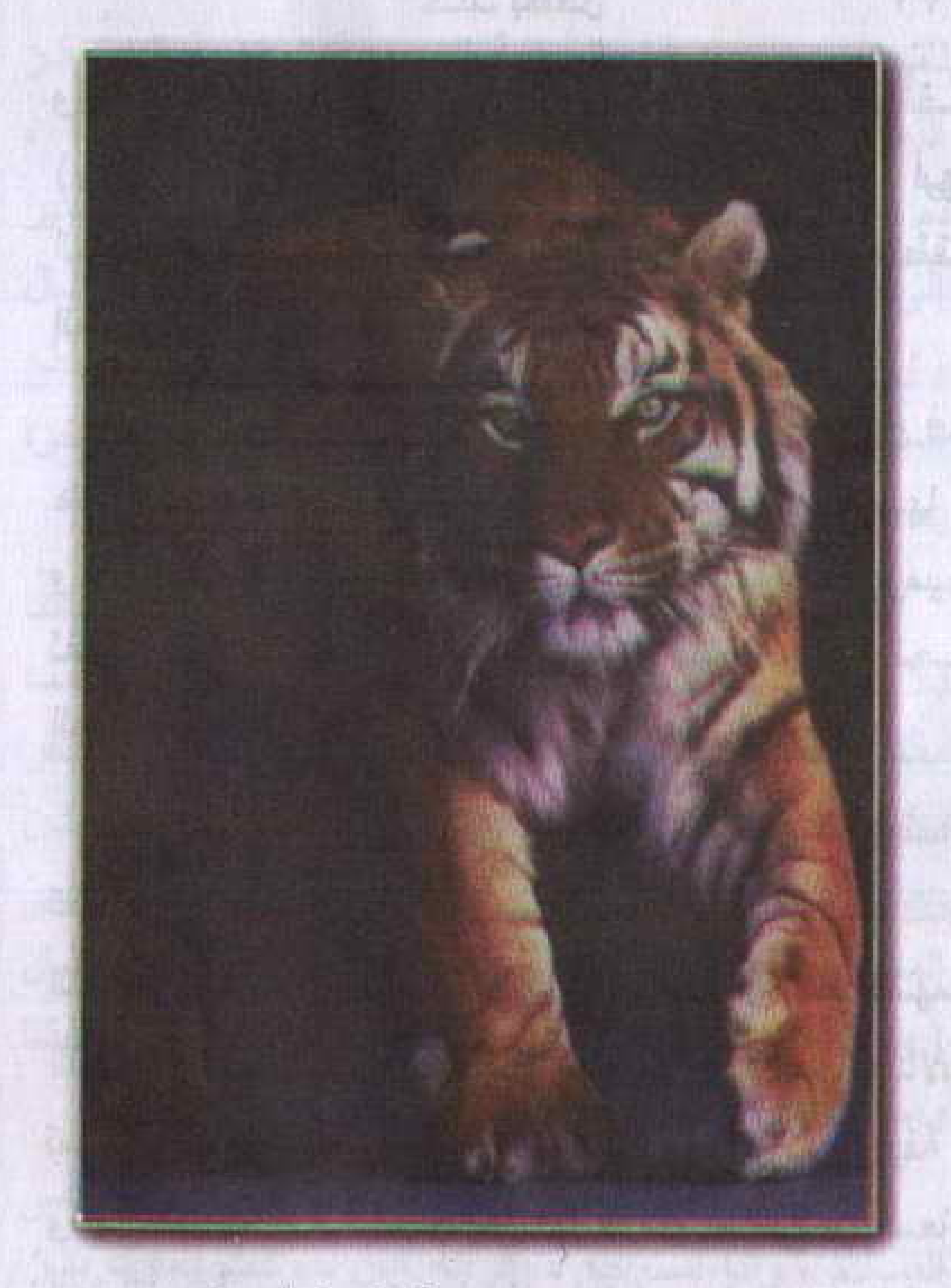
وفجأة تسمر رفيقى فى مكانه ، ووقف ساكنًا بلا حراك ، ثم همس فى أذنى : « انظر هناك ! » تتبعت مسار الشعاع الباهت للكشاف الضوئى ، فإذا به يستقر على بقعتين حمراوين متوهجتين فى الظلام . ولم يكن هناك أدنى شك فى العينين العاكستين للضوء ، ولا فى المسافة بينهما ، فغمغمت بهلع : « .. إنه نمر ! » فقال (وولتر) بهدوء : « خذ الكشاف ، واجعل ضوءه ثابتًا ومسلطًا حيث هو على العينين ! »

أمسكت الكشاف بحذر وتأملت العينين اللامعتين فى الظلام ، وأنا أسترجع ما قرأته عن حوادث الموت بين فكى وحش كهذا . فالتهشيم يكون بمقدار كبير من القسوة

والسرعة بحيث لا يسمح لأى ألم بالتصاعد . أخذ (وولتر) ينادى (هاينز) بجهاز اللاسلكى : « .. أيها المهمل ، هل أحصيت عدد النمور التى أدخلتها المنطقة المسيجة ؟ احضر فورًا ! »

وبعد نقاش قصير ، التفت إلى (وولتر) وقال فى همس « .. إنه (راجا Raja) ، أعتى نمورنا وأشرسها ، ولكنه ذكى جدًا . وقد رفض تناول طعامه منذ يومين لغير سبب مفهوم . ولكن علينا أن نعود ببطء نحو البوابة ! »

أخذنا نتراجع باحتراس ، بينما العينان اللامعتان تلاحقنا فى الطرف الآخر من شعاع الكشاف ، إذ كان النمر يسير معنا خطوة فخطوة . وحاولت أن أقلد همهمة النمور وأتكلم بصوت خفيض ، وفى معظم الحالات تستجيب الحيوانات بوداعة لمثل هذه الهمهمات الرقيقة ، ولكنى لم ألاحظ أية استجابة . وزاد من هلعى أن شعاع الكشاف بدأ يخبو حتى اصفر لونه ، ولم يعد يخترق ظلمة الضباب كما كان من قبل .



كان النمر (راجا) خارج مهجعه ، وقد رفض طعامه منذ يومين

فى هذه اللحظة سمعنا صوت محرك سيارة ، وكان (هاينز) مقبلاً لإنقاذنا ، وما هى إلا دقائق حتى تسطع أضواء سيارته فى المكان . ولكن الدكتور (وولتر) وقف فجأة وقال بحيرة : « دكتور (تيلور) ، أظن أننا فقدنا القدرة على تحديد الاتجاهات بسبب الضباب الكثيف . ومن الأفضل السير فى خط مستقيم حتى الوصول إلى السور الفولاذى » . بعد بضع عشرات الخطوات ، فقد الكشاف كل طاقته على إرسال أى شعاع ، واختفت عينا النمر فى الظلام .

تماسك الدكتور (وولتر) ، ثم قال وهو يكز على أسنانه من الغيظ : « أدر ظهرك إلى ظهرى ، وعلينا انتظار قدوم (هاينز) ! » . كان صوت محرك السيارة يزداد اقترابًا . ونادى (وولتر) الحارس باللاسلكى ووجه إليه كلمات ألمانية حادة حتى يسرع إليهما ، بينما كنت أبتهل إلى اللّه أن ينقذنا من هذه المحنة .

ففى مكان ما من هذا الظلام الحالك ، ربض نمر متربصًا بنا ، متتبعًا خطواتنا من حيث لا نراه ، ويمكنه بالتأكيد أن يمزقنا تمامًا ، ودون توقع دوى صوت

اصطدام ، وصرير عجلات سيارة ، وزجاج يتحطم ، ثم ساد السكون مرة أخرى . وتكلم (هاينز) عبر الجهاز هذه المرة ، فقد قفز بالسيارة فوق حافة أحد الأحواض المخصصة كمشرب للحيوانات ، وغرس هناك .

لم يعد هناك مفر من السير فى خط مستقيم حتى بلوغ أسلاك السور . كانت أعصابنا متوترة ، وحواسنا متيقظة ، وشبكنا ذراعينا وانطلقنا فى مسيرتنا وكلنا أمل فى أن نصل إلى السياج بسرعة . وبلغناه بالفعل ، ولكن فتحاته ضيقة بحيث لا يمكن أن توفر مكانًا لقدم حتى يمكن تسلقه .

وسألت رفيقى : « هل نسير فى محاذاة السياج حتى نصل إلى البوابة ؟ » فقال الدكتور (وولتر) : « لا أعرف بالضبط . فلو فعلنا ذلك ، فمن المرجح أن نلتقى بالنمر قرب السور » . وكان ما قاله صحيحًا للأسف ، فمعظم الحيوانات تحب أن تتفقد حدود ما تعتبره موطنها ومناطق نفوذها . فقلت فى ذعر : « وماذا يمكن أن نفعله الآن ؟! » فقال بثبات : « تسلق كتفى فربما أمكنك

أن تصل إلى قمة السور وتقفز من فوقه . ثم ابحث عن الحارس وقل له أن يحضر البنادق ! » ثم شبك كفيه معًا ، فتسلقت صعدًا إلى كتفيه ، ورفعت نفسى إلى أعلى مستندًا على الأسلاك . ولكنى وجدت الجزء الأعلى من السياج ملتويًا إلى الداخل بعرض نصف متر ، ولا يمكن تسلقه . وهكذا تلاشى كل أمل فى تخطى السور ، فقفزت إلى الأرض . وفى تلك اللحظة ظهر شبح (هاينز) فى الظلام على الجانب الآخر من السياج .

أسرع (هاينز) بفتح ثغرة عبر الأسلاك ، ودفع إلينا ببندقيتين . وهكذا أصبحنا مسلحين ، غير أننا مازلنا عاجزين عن الرؤية . أعددنا البنادق للانطلاق فورًا ، وأخذنا نتلمس طريقنا فى محاذاة السور وفى الاتجاه الصحيح .

وأخيرًا وصلنا إلى البوابة الحديدية ، حيث استخدم رفيقى جهازه الآلى لفتح الباب فخرجنا بسرعة . وما إن انغلق خلفنا حتى شعرت باطمئنان تام ، فأسندت ظهرى إلى السياج وقلت ضاحكًا للدكتور (وولتر) : « .. مسكين (راجا) ! أليس من الواجب أن نخرجه من هناك

أيضًا ! » فى تلك اللحظة الضاحكة ، شعرت بألم حاد يمزق ظهرى ، فصرخت بأعلى صوتى وارتميت على وجهى مبتعدًا عن السور .

أضاء الحارس كشافه الضوئى ليرى ما حدث ، وكان هناك قطع فى ملابسى يتدفق منه الدم . ثم أدار الضوء نحو السياج ، وكان النمر يمسك بقائمتيه الأماميتين أسلاك السور الفاصل ، وقد برزت مخالبه من الفتحات الضيقة كالحراب . وهكذا أدركنى (راجا) ونال منى ، وترك تذكارًا مؤلمًا على ظهرى .



بتصرف مختصر عن كتاب :

Condensed from a Book titled
« Going wild : Adventures of a zoo veterinarion ! »
by David Tylor.published by stein and Day publishers
Briarcliff Manor, N.y., U.S.A.. 1975.



استطاع النمر أن ينال من ضيف المحمية بمخالبه الحادة عبر السور

العجوز والذئب !

بقلم : [بيتر كليفتون]

أصر الرجل العجوز (فرانك شيرمان Frank Sherman) على الخروج فى ذلك الصباح الباكر من شهر أكتوبر ، لتفقد مصائده فى الغابة . وحاولت زوجته (أميليا Amelia) أن تثنيه عن عزمه ، وقد وهنت قواه بعد أن بلغ من العمر الواحد والثمانين ، وأصبح هناك خطورة فى السير وحده فى الغابات الشاسعة مثلما كان يفعل فى مقتبل حياته ، ولكنه كان رجلاً عنيدًا صلب الرأى ، واثقًا من نفسه . فاقترحت عليه تأجيل رحلته لليوم التالى ، إلى أن يعود أولاده الثلاثة بمركبهم لصيد أسماك السالمون Salmon عند مصب نهر (نواتاك) فى شمال المحيط الباسفيكى ، حتى يمكن أن يصطحبه أحدهم فى رحلته ، ولكن الرجل صمم على القيام بجولته .

كانت تعرفه طوال حياتها وتدرك معنى إقدامه على شىء ، ولذلك أعدت له فى صمت بعض الفطائر وتيرموس

بالشاى الساخن Thermos ، وزمزمية مياه Flask ، وطلبت منه أن يصطحب معه مسدسه المزود بست طلقات للاحتياط والدفاع عن النفس ، بجانب سكين الغابة المشرشرة ذات الحدين .

تدثر الرجل بالملابس الصوفية ، و (بوت) طويل ، وبالطو ثقيل ، وانطلق فى رحلته . على أن يعود قرب مغيب الشمس ، فلقد حان وقت نزول الجليد .

كانت قرية (نواتاك) الوحيدة فى هذه المنطقة الموحشة فى شمال غرب ولاية (آلاسكا) الأمريكية ، حيث تقع على بعد حوالى 65 كيلومترًا من مصب النهر . ومنذ سنوات قررت الحكومة الأمريكية اعتبار حوض نهر (نواتاك Noatak) ، وكذلك الغابات الشاسعة من حوله ، محمية طبيعية فيدرالية محظور الصيد فيها لجميع الحيوانات ، عدا الكيلومترات الأربعين الأخيرة من مصب النهر .

والمنطقة كلها تقع داخل الدائرة القطبية الشمالية ، وتتميز بالجبال العالية وغابات (التندرا Tundra) ، والدببة

والذئاب والثعالب القطبية البيضاء . وأيضًا عصافير القطب التى تهاجر كل عام إلى أقصى جنوب الكرة الأرضية ، ووعول الشمال Moose ذات القرون الطويلة المتشعبة من فصائل (الكاريبو Caribou) و(الإيلك Elk) أما نهر (نوتاك) نفسه فينبع من جبل (إيجيكباك Igikpak) المهيب الذى يبلغ ارتفاعه 2594 مترًا . ويصب فى مسار هذا النهر أيضًا ثمانية أنهار أخرى طويلة تنبع من جبال مختلفة شمال النهر وجنوبه ، حيث يمتد بطول 560 كيلومترًا حتى مصبه فى شمال المحيط الباسفيكى .

كان (شيرمان) قد ورث عن والده مزرعة جيدة قرب القرية ، فى منطقة أزيلت منها الأشجار قديمًا ، وتدر دخلاً معقولاً من الخضراوات والفاكهة . ولكن ذلك خلال شهور الربيع والصيف فقط ، أما فى الخريف والشتاء فيستحيل ذلك بسبب الصقيع الذى يفسد المزروعات ، ثم الجليد Snow الذى يغطى كل شىء برداء أبيض .

وكان على أولاده أن يقوموا برحلات لمصب النهر ، لصيد أسماك السلمون بمركبهم الخاص كما يفعل أهل القرية .

ولكن الرجل العجوز لم يتخل عن هوايته القديمة لصيد الثعالب القطبية وبيع فرائها .

ولما كان حظر الصيد قد شمل الغابات القريبة منه ، فكان لابد له أن ينصب فخاخه الحديدية فى الغابات النائية فى اتجاه مصب النهر . وبعد أن قطع حوالى 23 كيلومترًا بقاربه الصغير المزود بمحرك جديد ، توقف على الشاطئ الأيمن للنهر ، وثبت قاربه فى مرسى خشبى ، ثم توغل داخل الغابة .

قطع عدة كيلومترات نحو المنطقة التى نصب فيها الفخاخ ، وهو يأمل فى صيد ثمين . وفجأة انطبق فخ منصوب حول قدمه اليمنى فصرخ من الألم ، وتعثر فى وقفته فانقلب على جانبه الأيمن بكل ثقل جسده ، واصطدمت ساقه بالحجر الذى يثبت الفخ ، مما أدى إلى كسر ساقه اليمنى أيضًا . حاول بكل قواه فتح الكلابتين الفولاذيتين للفخ ، وحرر قدمه بجهد كبير . ثم استلقى على ظهره ، وقد فقد كل إحساس بالألم وبالعالم من حوله .

شعر (شيرمان) بخدر فى ذراعه اليسرى ، جعله يدرك أنه فقد الوعى لفترة . وتساءل مذعورًا : « إلى متى استمر ذلك ؟ » تناول الترموس لرشف الشاى الساخن مع إحدى الفطائر ، متجاهلاً الألم الذى بدأ يتصاعد من ساقه المكسورة وكاحله المجروح ، وأمده ذلك بشىء من القوة . كان يعرف ماذا ينبغى أن يفعله ، فاقتطع أعوادًا مستطيلة ، جبيرة حول ساقه المكسورة ، ولف حولها قطعة من القماش وربطها بحبل ضمن معداته . ثم اقتطع فرعًا قويًا يصلح للارتكاز عليه عند مسيره ، مستخدمًا سكينه فى تسويته .

كان قد بذل جهدًا كبيرًا فى إجراء هذه المهام ، وآن له أن يستريح لفترة قبل أن يواصل السير فى طريق العودة نحو قاربه على شاطئ النهر . وغلبه الإرهاق ، فراح فى سبات عميق أقرب إلى الإغماء .

بعد فترة طويلة أفاق من غيبوبته وقد انتابه القلق ، إذ يجب عليه أن يبدأ فى الحال رحلة العودة قبل أن يحل الظلام . تقدم ببطء متكئًا على عكازه ، والألم يعصره فى اتجاه الطريق الذى اعتقد أنه يوصل إلى شاطئ النهر .

وكان مضطرًا للتوقف كل بضع عشرات الأمتار لالتقاط أنفاسه ، ولأخذ فترة من الراحة .

قطع بضع كيلومترات بهذه الطريقة المحطمة ، ولكن لم يظهر أثر بعد لضفة النهر أو القارب . فجلس مستندًا إلى جذع شجرة صنوبر Pine Tree ، وأخذ يتذكر مسار طريقه وسط الأشجار ، ويحدق فى كل اتجاه ، ولم يكن هناك سوى الغابة ، والأعشاب القطبية الصغيرة Moss والطحالب .

ولمح عينين ترقبانه عن بعد من بين الأشجار ، قد يكون دبًا صغيرًا . ولم يعر الأمر اهتمامًا ، فيكفيه ما هو فيه ، أو هو فيه ما يكفيه . تحامل على نفسه وسار متعثرًا كيلومترين آخرين فى نفس الاتجاه . لقد قطع حتى الآن أكثر من المسافة التى توغل فيها داخل الغابة منذ أن ترك القارب . ولكن ليس هناك أثر للشاطئ .

بدأت الشمس فى المغيب ، وكان لابد له أن يقضى ليلته فى الغابة وحيدًا . فبحث عن بضع أشجار متلاصقة تحميه ، واندس بينها ، ثم أخذ فى رشف قدر من الشاى

الساخن والفطائر . وجذب البالطو فوق رأسه ، وراح فى نوم عميق ، بعد أن أعد المسدس فى متناول يده .

فى أثناء الليل خيل إليه أنه يسمع عن قرب زمجرة دب وعواء ذئب ، كأن بينهما معركة ، استمرت لفترة ثم هدأ كل شىء . ولم يكن يستطيع أن يرى شيئًا واضحًا ، إلا خيالات بعيدة على ضوء القمر الشاحب . وفى الفجر استيقظ (شيرمان) ، وقرر أن يواصل السير ، بعد أن حدد اتجاهه هذه المرة طبقًا لمصدر أشعة الشمس .

ولكن الرجل العجوز أحس أن هناك عينين ترقبانه ، فتلفت خلفه ، وشاهد ذئبًا هجينًا بين اللونين البنى والأبيض على بعد منه . وتعجب (شيرمان) من ذلك ، فالذئاب البنية تعيش فى الغابات الجنوبية غالبًا ، وفى المناطق الأكثر دفئًا فى كندا وشمال غرب الولايات المتحدة . فقط الذئاب القطبية البيضاء وحدها ، هى التى يمكنها العيش على مدار العام فى المنطقة الشمالية . ولكن يبدو أن هذا الذئب الخليط بين النوعين ، انفصل عن قطيعه ولم يهاجر نحو الجنوب فى الوقت المناسب .



كان الذئب الهجين يتبع الرجل العجوز فى الغابة طوال الوقت



رفع العجوز عصاه مهددا، وقال: «لا تقترب أكثر من ذلك، فلم أنته بعد»

أخذ الذئب يتبعه طوال الطريق ، وكلما جلس للراحة كان يقترب منه أكثر . وفى إحدى المرات تفرس العجوز فى وجه الذئب ، ورفع عصاه أمامه مهددًا ، وقال بثقة : « لا تقترب أكثر من ذلك ، فلم أنته بعد ! » ولكن الذئب أخذ ينظر إليه فى هدوء ، كان يعانى أيضًا الشيخوخة بمقدار ما بلغه الرجل العجوز . وكان ذلك واضحًا على مقدمة أنف الذئب ، وأسنانه المتكسرة عندما يتثاءب . وربما كانت شيخوخته هى التى منعته من الهجرة إلى الجنوب ، عند اقتراب فصل الشتاء .

وأخذ (شيرمان) يسير فى الغابة الشاسعة طوال اليوم على غير هدى . ويبدو أنه قد ضل طريقه إلى شاطئ النهر ، ولم يعد يعرف اتجاهه الصحيح من الحمى التى أصابته ، والهذيان الذى بدأ يهد كيانه .

وجاء الليل مرة أخرى ، فانطرح (شيرمان) تحت شجرة صنوبر ، متخذًا من أوراقها الأبرية الجافة فراشًا . وفى هذه الليلة شاهد مجموعة من ثلاثة ذئاب قطبية تقترب من جانبه الأيمن وهى تدمدم . بينما كان الذئب البنى على جانبه الأيسر يتراجع بظهره أمام هذه

الوحوش القاتلة وهو يزمجر . لم يستطع (شيرمان) أن يفهم ما الذى يحدث أمامه بالضبط على ضوء القمر . لقد أيقن فى لحظة أنه قد أصبح فريسة سهلة لكلا الجانبين ، ولم يتردد .

التقط مسدسه وأطلق رصاصتين نحو المهاجمين من الذئاب البيضاء ، فأصاب أحدهم وأخذ يعوى مبتعدًا ، وفر الذئبان الآخران داخل الغابة . وحول (شيرمان) فوهة مسدسه نحو الذئب البنى ، فوجده بعيدًا يرقب ما يحدث فى هدوء وبلا خوف . ثم أخذ يقترب ببطء شديد ، ثم جلس على الأرض على مقربة منه ، وقد أسند رأسه فوق قائمتيه الأماميتين الممدودتين ، وأخذ ينظر إليه فى سكينة . ولسبب ما لم يطلق (شيرمان) عليه الرصاص .

كان الجو باردًا عن الليلة السابقة ، وأخذت الرياح القطبية الباردة تهب بشدة . وكان الألم والإجهاد والحمى قد تمكنت من (شيرمان) . ومع ذلك فقد راح يسترجع شريط حياته وذكرياته الحلوة ، ورحلات الصيد مع كلبه

(بارنى Barney) ، وزوجته الوفية الجميلة ، وأولاده الثلاثة وقد شملهم برعايته حتى أصبحوا رجالاً يعتمدون على أنفسهم . وقال لنفسه « إنه لأمر غريب حقًا ، أن أتذكر (بارنى) الآن ، بعد كل هذه السنوات ! »

وكان والده قد أحضر الجرو الصغير له ، وعمره لم يتجاوز السنوات السبع . وقال له : « هذا الجرو هجين رائع بين كلاب الإسكيمو البيضاء ، وكلاب الرعاة البنية ، وسوف يكون حارسًا لك ! » . وقد كان كذلك بالفعل طوال 15 سنة ، عاشها (بارنى) كحارس وصديق وفىّ . وعندما مات ، لم يستطع (شيرمان) أن يكتم دموعه ، برغم أنه أصبح وقتها رجلاً فى الثانية والعشرين من عمره . ومع الوقت تمكن من وقف ذكرياته عن (بارنى) ، حتى لا تؤذيه كثيرًا . ولكنه الآن يتذكر صديقه القديم ، ربما لأن الذئب البنى العجوز يشبهه إلى حد كبير .

كان (شيرمان) يهذى من الحمى ، وربما من الجنجرينا gangrene ، أو فساد الدم فى ساقه وكاحله من جروحه

التى لم تطهر . كانت الرياح القطبية الباردة تعوى بشدة ، وجاءت أول رشقة من جليد الشتاء المبكر فوق جبينـه . فاتكأ (شيرمان) على مرفقه ليلقى نظرة عبر الأغصـان إلى السماء الملبدة بالسحب القاتمة . ثم هز رأسـه وجذب معطفه فوق رأسه ، بينما أخذ يرقب الذئب بعين ، وخيم الصمت على المكان .

بعد إغفاءة قصيرة ، تمتم العجوز فى هذيان مرتجف ، وكأنه يجتر ذكرياته : « .. يا لـه من كلب طيب ! أنت هناك ، تعال هنا يـا (بـارنى) . أيها الصديق العزيز . البرد قارس جدًا . اقترب منى يا (بارنى) ، كى نحتفظ بالدفء معًا . لا تبق منفردًا هناك ! » . أخذ (شيرمان) يخاطب الذئب بصوت رقيق على أنه (بارنى) ، بينما كان الجليد يتراكم مع الوقت ويغطى الغابة كلها برداء أبيض ، والرياح مستمرة فى صريرها العاتى .

بعد فترة طويلة فتح العجوز عينيه ، فوجد الذئب يقف فوقه تمامًا وقد غطاه الجليد . فواصل حديثه :

« .. تعال هنا يا (بارنى) ، أيها الجرو الطيب ! » قال ذلك وهو يمد يده ليمسح فرو الرأس الناعم . وأدرك فى لمحة خاطفة أن الموت أصبح قريبًا منه فى هذا الجو العاصف ، وانخفاض درجة الحرارة إلى ما دون الصفر .

فى ظهيرة اليوم التالى ، توصلت إحدى فرق البحث إلى مكان (شيرمان) فى الغابة النائية . وصرخ (توم هوكنز Tom Hawkins) رئيس الفريق : « .. يبدو أن ذئبًا قد نال منه ، لكنه تمكن من الإجهاز عليه » . واقترب الرجال من الجثتين الهامدتين الباردتين ، وقد غطتهما قطع الجليد المتراكمة تمامًا . كانت ذراع (شيرمان) تحيط جسد الذئب ، بينما كانت يده الأخرى فوق رأسه بحنان . وقد امتد عنق الذئب على صدر العجوز الذى علت وجهه ابتسامة هادئة ، وكانا متجمدين تمامًا . لمس (هوكنز) وجه الرجل العجوز ثم

فروة عنق الذئب ، وحاول إخفاء دمعات ترقرقت فى عينيه ، ثم قال لرفاقه : « لا أظن ذلك ما حدث ! إنه لأمر غريب حقًا ! »



بتصرف عن المصدر :

Adapted from : « Yankee Magazine » ,
December 1975. An Article Titled « Death Watch » ,
by peter clifton.
published by yankee Inc., Dublin,
New Hampshire, 03444, U.S.A.

هجوم الحيتان القاتلة ..

بقلم : [شيلدون كيلى]

كانت أمواج شمال المحيط الأطلنطى تتلاطم بعنف ، والسماء ملبدة بالغيوم فى فجر الحادى عشر من يونيو 1988 ، مما اضطر (ديفيد سيلنجس David Celengis) إلى توجيه مقدمة مركبه الشراعىّ (هايكاب Hicup) فى مقابل اتجاه الريح حتى لا ينقلب .

مسح البحار البريطانى ـ الذى يبلغ من العمر أربعين عامًا ـ رذاذ الماء عن وجهه ، وأخذ يحدق فى الأفق الرمادى . كان يقظًا ومتقدًا بالحماس ، وجعلته عزلة المحيط أكثر حساسية لكل مشهد أو صوت ، برغم أنه لم يغف إلا قليلاً . وهو منذ بعض الوقت يشعر بحضور غريب قريب منه .

لقد مرت عليه ستة أيام منذ أن عبر مضيق (بلايموث Plymouth) جنوب بريطانيا ، كنقطة بداية فى سباق (كارلسبيرج Carlisberg) للإبحار المنفرد عبر المحيط الأطلنطى . وقد سبق له أن عبر المحيط منفردًا مرتين

من قبل ، وتعلم أن يثق بالله وبنفسه وإحساسـه . وقال فى داخله : « .. هناك شىء ما ! » وأخذ يفحص الأمواج من حوله ، لعله يرى صناديق شحن عائمة أو براميل بترول تهدد مركبه المصنوع من الأخشاب ، والذى يبلغ طوله تسعة أمتار .

وفى أثناء ذلك التقط جهازه اللاسلكى حديثًا بين ثلاثة متسابقين . وسبق له من قبل أن تأخر حوالى 18 ساعة بسبب عطل فى المركب ، ولكنه الآن ـ بعد أن سمع الحديث الجارى ـ تأكد أنه يلحق بالمتسابقين ، وشعر (ديفيد) بالبهجة .

أخذ (ديفيد) يحدد موقعه بجهاز الملاحة الذى يلتقط إشارات الأقمار الملاحية . وأظهرت أرقام البث الفضائى على شاشة الجهاز أن موقعه يبعد عن بريطانيا 1100 كيلومتر .. وأنه ينطلق بسرعة ثابتة نحو هدفه ، وشعر بالرضا لذلك . ومن ثم حدد اتجاه البوصلة على خط النهاية فى ميناء (نيو بورت New port) ، بولاية (رود آيلاند Road Island) الأمريكية ، والذى يبعد 3700 كيلومتر .



أبحر (ديفيد) بمركبه الشراعى من جنوب بريطانيا ، ضمن السباق المنفرد إلى الولايات المتحدة عبر شمال الأطلنطى

وقام بتشغيل (الملاح الآلى Auto-Navigator) على هذا الاتجاه مباشرة .

وبعد الظهر ابتعد فى المحيط ، وفقد الاتصال اللاسلكى مع منافسيه الثلاثة . ولكن إحساسه الداخلى ظل يلح عليه بأن شيئًا ما قريب منه . وعند الغروب شاهد لأول مرة قطيعًا من الحيتان الرمادية المعروفة (بالحيتان القاتلة Killer Whales) ، على بعد خمسة عشر مترًا على يمين مقدمة المركب ، وكان يضم عشرة منها على الأقل . ولاحظ أن سرعتها تعادل سرعته وفى نفس الاتجاه . ولم يدرك إلا بعد ذلك ، أن ماسبق وأن شعر به ، كان وجود الحيتان .

عند منتصف الليل استيقظ (ديفيد) ، وتطلع عبر كوة الكابينة المظلمة فى جانب المركب . لاحظ ضوءًا على قمة صارى لمركب آخر على بعد تسعين مترًا منه . وشعر بالابتهاج ، فها هو ذا منافس آخر يتخطاه . وصاح عبر جهاز اللاسلكى « هنا (هايكاب) .. وداعًا ! » فجاءه صوت يغالب النعاس : « .. حظًا سعيدًا » .

تأكد (ديفيد) من صحة اتجاهه مرة أخرى ثم أخذ يرقب ضوء صارى المركب الآخر وهو يتراجع فى الظلام . وفكر فى الحيتان السابحة فى مكان ما تحت الأمواج المتلاطمة ، إنه يشعر بها ، ولكنه لا يراها . وفى اليوم التالى ظل طوال الوقت يصحح اتجاهه باستمرار ، عند كل تغيُّر فى اتجاه الرياح . ولكن معدل سرعته ظل حوالى 265 كيلومترًا فى اليوم .

وفى الثانية من بعد الظهر كان يغفو فى كابينته ، حينما انتابه إلهام غامض بوجود خطر ما . وفجأة سقط كتاب عن الرف ، فهب مذعورًا ، كان الكتاب فى مكانه قد قاوم رياحًا عاصفة ، فلماذا سقط الآن فى مياه هادئة ؟ ويبدو أن الوقت الذى قضاه وحيدًا فى رحلات بحرية خطرة ، أرهف إحساسه بالظواهر غير المتوقعة . برغم أنه ولد بحارًا ومن أسرة تعمل فى البحر ، فى ميناء (إيستبورن Eastbourne) البريطانى ، وقضى معظم حياته فى الإبحار ، وكان يستخف دائمًا بالخرافات .

راح (ديفيد) يتنقل بعصبية بين مقدمة المركب

ومؤخرتها ، محاولاً فحص كل شىء بدقة . وعند الغروب أخذ يتفحص المياه المتقلبة من حوله ، ها هى ذى الحيتان الرمادية والمزيد منها ، وما زالت الزعانف السوداء تشق سطح الماء ، والأجساد الكثيرة اللامعة - التى يبلغ طول كل منها حوالى ستة أمتار أو أكثر - تسبح فى انتظام ورتابة فى اتجاه واحد نحو هدف معين .

كان (ديفيد) مشغولاً بالسباق ، فحاول أن يتجاهلها . وقد سبق أن شاهد المئات من الحيتان ، وهى حيوانات ثديية ذكية وصديقة ، ذات فضول يشبه فضول البشر - عدا هذا النوع الرمادى القاتل الذى اعتاد على الهجوم الكاسح - ولكن هذا هو موطنها ومحيطها .

كان الظلام حالكًا والسحب رمادية منخفضة ، وحصر (ديفيد) اهتماماته بالملاحة والطقس والسرعة ، ثم غلبه الإرهاق فنام فى كابينته وقد نسى إحساسه بالقلق . بعد فترة طويلة سمع أصواتًا غريبة تتردد فى أنحاء المركب وكأنه فى حلم : « .. ما هذا بحق السماء ؟ » ووقف على قدميه ، وأخذ يصغى مذهولاً مرتجفًا . تساءل بينه وبين نفسه : « ما الذى أثار الحيتان ؟ أتحاول أن

تخبرنى شيئًا ؟ » . كان المركب المصنوع من خمس طبقات من خشب الصنوبر « خشب الموسكى pine » وخشب الماهوجانى « الكابلى Mahogany » البنى الصلب ، يرتج ويهتز بشدة لدى مرور الحيتان تحته . اندفع (ديفيد) إلى السطح مهرولاً ، وشاهد الحيتان الرمادية المرقطة بالمساحات البيضاء وهى تصعد إلى سطح الماء للتنفس . كانت تتقلب وتفور وتغطس بخشونة ظاهرة ، وهى تنثر الماء لعدة أمتار . ولاحظ وجود ستة حيتان تتزاحم متلاصقة بجانب المركب ، ثم اختفت .

توجه إلى كابينته لاستكمال غفوته وليكن ما يكون ، فليس أمامه سوى مواصلة الإبحار والصلاة .

فى العاشرة من صباح يوم 13 يونيو ، أخذ (ديفيد) فى تحديد وتصحيح موقعه ، وتبين له أنه على بعد 1600 كيلومتر من بريطانيا . وأنه قطع ثلث مسافة السباق ، بمعدل 11 كيلومترًا فى الساعة . أيستطيع الفوز بالمرتبة الأولى ؟ احتمال كبير ! وتجاهل ظهور الزعانف السوداء من حوله مجددًا على بعد خمسين مترًا . ولكن سرعان



ظهرت زعانف الظهر السوداء للحيتان حول المركب ، ثم طوقته

ما ظهرت رءوس كبيرة كروية ملساء فوق سطح الماء كما لو كانت تفتح الطريق لأخرى تلتف حول المركب . ثم ظهرت أجسام أخرى ضخمة من الحيتان بعضها يزن أكثر من طنين ، ثم تغطس ويظهر غيرها . أمسك (ديفيد) بكاميرته لتسجيل هذا المشهد الغريب لألعاب الحيتان .

لم يكن هناك من يسمعه فى مدى جهازه اللاسلكى . ولكن إرسال إشارة طوارئ على موجة بعيدة المدى قد يبدو أمرًا غير منطقى ، فماذا يمكنه أن يقول غير أحاسيسه الغامضة وحسب . ومع ذلك فإن هذه المشاعر بدأت تتكشف عن حقيقة مرعبة ، فالحيتان من كل الأحجام احتشدت من كل صوب حول المركب . وقفز الكثير منها عمودًا فوق سطح الماء ، وأخذت تندفع وتفور فى صخب وهى تطلق أصواتًا عالية .

خفض (ديفيد) كاميرته فى ذهول ورعب ، وقد ظهرت حول المركب حلقات كثيرة من الزعانف الظهرية السوداء وكأنها تطوقه ! ثم شاهد (ديفيد) قطيعًا من الحيتان أكبر حجمًا يمتطى موجة بيضاء مرتفعة ، ثم يغطس

ويقفز نحو المركب . وأخذ (ديفيد) يراقب بهلع ما يجرى حوله ، فيما كانت الحيتان الصغيرة تسبح تحت المركب وتهزه بسهولة . وبعد ثوان ، شكل القطيع كله طوقًا صلبًا من الأجسام اللامعة لا يظهر منها إلا زعانف الظهر كالسيوف .

وفجأة ظهر من وسط القطيع حوت ضخم يصل طوله إلى ثمانية أمتار وهو يصيح ، ثم ظهر بجانبه ثان وثالث . بينما أسرعت الحيتان الصغيرة الحجم بالابتعاد عن المركب فى ذعر . وهتف (ديفيد) : « .. يا إلهى ! ما الذى يحدث ؟ » ، وهبط بسرعة إلى كابينته وأمسك بحاجزها الداخلى . بينما تقدم قائد القطيع وضرب برأسه مؤخر المركب ، وبعد لحظات ضرب المركب حوت آخر . وانفصلت الدفة عن مؤخر المركب كأنما هى عود ثقاب ، وتحطمت الأجزاء السفلى من المركب فتدفقت المياه بسرعة . لم يكن أمام (ديفيد) إلا ثوان فقط ، ، ارتدى خلالها سترة النجاة ، وقام بتشغيل الجهاز اللاسلكى ، وكرر طلب النجدة بعد أن حدد موقعه .

التقط نداء الاستغاثة سفينة الشحن الألمانية (بريدج

ووتر Bridge Water) ، وكانت فى طريقها إلى بريطانيا . فى أثناء ذلك كانت المركب الشراعية (هايكاب) تترنح تحت ضربات الحيتان المتواصلة . وجاءت ضربتان هائلتان على مقدمة المركب ، فترك (ديفيد) جهاز اللاسلكى وأسرع إلى الحافة ، وألقى طوق النجاة ثم بنفسه إلى الماء ، بينما كانت المركب تغوص بمقدمتها إلى القاع .

أمسك (ديفيد) بالحبل الذى ينفخ الطوف بالهواء المضغوط ـ وهو يبتهل إلى الله أن يساعده ـ وجذبه بعنف ، فانفتح الطوف وأخذ شكل القارب . وكافح بكل قواه المتبقية ، ورفع نفسه داخل الطوف ، فى اللحظة التى اختفى فيها مركبه (هايكاب) تحت الأمواج . وقدر (ديفيد) أن الطوف سيندفع مع التيار نحو الشاطئ الأوروبى خلال خمسة أسابيع وعند وصوله يكون قد مات بالتأكيد ، فلم يكن فى الطوف سوى لترين من الماء العذب ، وهو ما لا يكفى لتغطية هذه المدة الطويلة . كما أن احتمال نجاته ضعيف للغاية ، فهو لم يتمكن من تكرار وترديد طلب النجدة لمدة معقولة ، سوى رسالة مختصرة متعجلة لثوان قبل أن يقفز إلى الماء .

قبل غروب الشمس ، ظن (ديفيد) أنه يسمع أصوات محركات طائرة فوق رأسه ، فأدرك أن استغاثته القصيرة قد التقطت . ولكن أيستطيع رجال الإنقاذ تحديد مكان طوفه الصغير ؟ دارت طائرة البحث والإنقاذ Search and Rescue ، التابعة للسلاح الجوى الملكى البريطانى RAF ، وألقت عوامة دخان للإرشاد قريبة منه . وكانت الباخرة الألمانية التى التقطت رسالة الاستغاثة ، قد أبلغت حرس السواحل فى ميناء (فالماوث Falmouth) جنوب غرب بريطانيا ، فأبلغ هؤلاء سلاح الجو البريطانى لإرسال طائرة بحث وإنقاذ إلى موقع الحادث .

وفى السابعة والدقيقة الخمسين مساءً ، طرق السكون دوى كالرعد . وهز (ديفيد) رأسه وفرك عينيه وهو لا يصدق ، كانت الباخرة (بردج ووتر) تنفخ أبواقها الضخمة على بعد 800 متر ، وترشدها طائرة الإنقاذ إلى الموقع .

نقل (ديفيد) إلى الباخرة بعد أن قضى ست ساعات فى الماء فقط . وأخبره القبطان (بيتر فرايك Peter Freik) ، أنه شاهد قطعان الحيتان فى نفس المنطقة التى تحطم فيها المركب الشراعى (هايكاب) .

أخذ علماء أبحاث الثدييات البحرية فى جامعة (كامبريدج Cambridge) البريطانية فى دراسة هذا الهجوم غير المتوقع . بعضهم يرى أن (ديفيد) أبحر بصورة خاطئة فى منطقة توالد الحيتان ، وأنها كانت تدافع عن صغارها . بينما يقول آخرون إن قطيعًا من الحيتان الرمادية القاتلة ، كانت تهاجم مجموعة من الحيتان الصغيرة غير المؤذية ، التى تجمعت حول المركب طلبًا للأمان . أما (ديفيد) فقد عاد إلى موطنه فى (إيستبورن) ، آملاً أن يقتنى مركبًا جديدًا للقيام بمغامرات أخرى .



بتصرف عن المصدر : ...

Reader's Digest Magazine, Nov. 1988, by chelidon Kelly. New York, N.y., U.S.A.

فهرس

الصفحة	الأحداث
5	مقـدمة المحـرر

حدث بالفعل

الكتاب القادم



مطاردات فى أعالى البحار





وقائع حقيقية
وأحداث غريبة
ليس لها أى تفسير على الاطلاق

يقدم هذا الكتاب وقائع حقيقية وأحداثا حدثت بالفعل من واقع الحياة ، تشكل مأزقا واقعيا يندر حدوثه أو حادثا غريبا ليس له أى تفسير على الإطلاق .. أو تجربة إنسانية حية تضاف إلى تصرفات الأقدار المتراكمة ...

وقائع هي ملح الحياة وثمرة التجارب ، وحصيلة العمر ، تكشف بتلقائية شديدة عن معدن الإنسان وأصالته ، وتبلور الحكمة الكامنة فى مجابهة المصاعب والشدائد ، وتلقى الضوء على القوة الكامنة الهائلة داخل كل إنسان ، المستمدة من قوة الإيمان والوعى الكامل بالوجود ، ودوره فى الحياة ، ومدى تمسكه بالمثل والقيم والفطرة السليمة ، حتى يصبح إنسانا عظيما بحق فليس هناك طريق مختصر غير ذلك .





السعر فى مصر ٣٠٠
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم